بَوَّابَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

بَوَّابَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ

إعداد

أحمد بن ناصر الطيار

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فإنّ الحديث عن الصلاة لا يُملّ، وقد كَتَبَ عنها ما لا يُحصى من الأوّلين والآخرين، وليس غرضي من هذا الكتاب أنْ أذكر أحكام الصلاة الفقهيّة؛ بل غرضي أنْ أذكر بعضَ معانيها وأسرارِها وحِكَمِها، سوى مواضع يسيرة جدًّا، ذكرت فيها بعض المسائل العِلْمية المهمة.

ومِن الكتب التي قرأتُها قديمًا، وكان لها الأثرُ الكبيرُ على تذوّقي لطعم الصلاة وروحِها وحِكَمها وأسرارها: كتابا: الصلاة وأحكام تاركها، ومدارج السالكين، لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهما اللبنة التي انطلقتُ منها نحو توثيق العلاقةِ مع الصلاة، وكتاب: تعظيم قدر الصلاة للمَرْوَزِي، ولقد وجدتُ أنه كلّما أمْعَنْتُ النظر في الصلاة وأسرارها القولية والفعليّة ازددتُ تعلُّقًا وانجذابًا إليها.

ومع مرور الزمن، وكثرة القراءة في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، والكتب التي تعتني بحياة وعبادات السلف الصالح عليهم رحمة الله ورضوانُه: وقفت على العديد من الحِكَم والأسرار العجيبة لهذه العبادة العظيمة.

فكنت أدوّنها، وأدوّن بعض ما يحيك في صدري من لطائف

وتأمّلات ومعانٍ ساميةٍ لأعظم أركان الإسلام، نثرت بعضها في خطبي ومقالاتي.

وكلّما ازدَدْتُ فيها تأمُّلًا تفجّرت ينابيع الحكم والأسرار، وكلّما كتبتُ عنها تواردتْ عليّ المعاني والأفكار.

وما أوجب ربُّنا ﷻ الصلاةَ على المسلمين خمس مرات في اليوم والليلة إلا لآثارِها الجليلة، ومنافعِها العظيمة، وأسرارِها البديعة.

والتأمل في العلوم والعبادات مِن أهمّ الأمور وأنفعِها، وأدَرِّها للفهم والاستنباط، وأحفزِها للعمل، وأجْلَبِهَا للنَّشاط وحضورِ الذّهن، ومَنْ جرّب ذلك عرف قدر التأمل والتدبّر.

فأوصيك ـ أخي القارئ الكريم ـ أنْ تكون «متأملًا في جميع الأوقات في دقائق العلوم وتعتاد ذلك؛ فإنما تُدرَك الدقائق بالتأمل، ولهذا قيل: تأمل تدرك»(١).

وقد كان الخاطرُ ينشط، والمشاعِرُ تفيضُ بعض الأحيان أثناء الصلاة أو قبلها أو بعدها بشيءٍ من أسرار الصلاة ومعانيها وحِكَمها، فكنت حريصًا على سرعةِ تدوينها وترتيبِها وجمعِها لئلا تهرب أو تضيع.

وإنني على يقين أنك ـ أخي القارئ الكريم ـ إذا وقفت على حِكَم وأسرار الصلاة القوليّة والفعليّة سيزداد تعظيمُك للصلاة، وسيزداد خشوعك فيها، وتعظم رغبتُك في البكور إليها؛ شوقًا لها، وطلبًا للراحة بها.

(١) تعليم المتعلم طريق التعلم، للزرنوجي، ص٤٣.

أسأل الله تعالى أنْ ينفع بما كتبت ودوّنت، إنه سميعٌ قريب مجيب.

أحمد بن ناصر الطيار
خطيب جامع
عبد الله بن نوفل بالزلفي
وداعية في وزارة الشؤون الإسلامية
البريد الإلكتروني:
ahmed0411@gmail.com
رقم الجوال: ٠٥٠٣٤٢١٨٦٦

مبدأ التَّجديد

لقد خلق الله تعالى الإنسان مُحبًّا للتَّجديد والتغيير نحو الأفضل، فتجد الناس لا يستقرّون على حالةٍ واحدة، وكلّما استجدّ شيءٌ في الحياة سارعوا إلى الحصول عليه عند مقدرتهم.

فالرجل اليوم ليس هو قبل عشر سنوات؛ بل تجده اليوم قد جدَّد وغيّر مظاهِرَ حياته ومعيشته ومركبه وبيته ـ حتى حذاءه ـ إلى الأفضل.

أما الصلاة فلا بواكي لها عند كثير من الناس! فأداؤهم للصلاة اليوم هو نفسُ أدائهم لها قبل عشر سنين أو عشرين سنة، لم تَصِلْها عجلةُ التَّجديد والتغيير نحو الأفضل، مع القدرة على ذلك وسهولتِه ويُسره.

فقد جدَّد بعض الناس كلَّ شيء إلا صلاته، وغَيَّر كلَّ شيء إلا صلاته، وتعلّم وقرأ في كثير من الموضوعات إلا عن الصلاة، واهتمّ في تحسين كثيرٍ من أموره إلا الصلاة!

وليت صلاته الماضية كانت سالمةً من النقص والخطأ، وليته كان راضيًا عنها، عالِمًا بسننها وواجباتها وأركانها، خاشعًا مُطْمئِنًّا فيها، مُحبًّا ومُعظّمًا لها، فهذا لو لم يُحسِّن صلاتَه لَمَا لَحِقه لوْم.

ولكن الذي يُلام هو من يُوقِن في قرارة نفسه أنّ صلاته فيها خلل ونقص، ويشتكي من قلة خشوعه فيها، وعدمِ التبكير إليها، وضعفِ رغبته وحرصه عليها؟

لِمَاذا لم يتخذ الأسباب لتحسين وضع صلاته وكمالها، في حين أنه سعى جاهدًا في تحسين أموره المعيشيَّة والدنيويَّة؟

وقد نبّه النبيّ ﷺ إلى مبدأ تحسين الصلاة والعناية بها، فقد رأى رجلًا لا يُحسن صلاته فَقَالَ له: «**يَا فُلَانُ، أَلَا تُحْسِنُ صَلَاتَكَ؟ أَلَا يَنْظُرُ الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ**»(١).

«يشير إلى أنَّ نفع صلاته يعود إلى نفسه، كما قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦]، فمن علم أنه يعمل لنفسه وأنه ملاقٍ عمَله، ثم قصَّر في عمله وأساء: كان مسيئًا في حقِّ نفسه، غيرَ ناظرٍ لها ولا ناصح»(٢).

فينبغي لك ـ أخي المسلم ـ أنْ تُحاسب نفسك في أمر صلاتِك، وتنظرَ كَيْفَ تُصَلِّي.

ولا تجعل همَّك كثرةَ الصلاة؛ بل إتقانَها وتحسينَها، قال بعض السلف: لا يكن همُّ أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكنْ همّه في إحكامه وتحسينه؛ فإن العبد قد يصلّي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه(٣).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون الإكثار منه؛ فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان، أفضل من الكثير مع الغفلة وعدم الإتقان.

قال بعض السلف: إنَّ الرجلين ليقومان في الصف، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

(١) رواه مسلم (٤٢٣).

(٢) فتح الباري لابن رجب ٣/ ١٤٨.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٥٣٥.

كم بين من تصعد صلاته لها نور وبرهان كبرهان الشمس، وتقول: حفظك الله كما حفظتني، وبين من تُلَّفُ صلاته كما يُلَّفُ الثوب الخلق[١]، فيضرب بها وجه صاحبها، وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني؟!». اهـ[٢].

والصلاة أهمّ وأعظم في نفسك ـ وهذا الظنّ بك ـ مِن بيتك ونفسِك ومظهرك ومكان جلوسك، وحذار أنْ يكونَ اهتمامُك بحذائِك أكثر من اهتمامِك بصلاتك وسائر عباداتك!

قال أحد الصالحين لجلسائه: لقد رضيت منكم أن يُبقي أحدكم على دينه كما يبقي على نعله.

ومما لا شكّ فيه أنك ذهبتَ مرارًا إلى السوق لتشتري حذاءً جديدًا لك، مع أنّ الحذاء الذي تلبسُه لم يتلف.

ولن تشتري إلا حذاءً جميلًا، وعلى مقاس قدمك، ولو اتّسخ فإنك سَتُزيل الوسخ عنه؛ بل لو اتسخ أسفل حذائك لَسَارعت إلى إزالةِ الأذى عنه غالبًا.

ولا يُظَنُّ بك ـ أخي الحبيب ـ أنْ يكون قدْرُ الحذاء أعظمَ وأهمَّ عندك من قدر الصلاة، والبرهان بالفعل لا بالقول، وما أسهل الدعوى، وما أعزّ المعنى، فلا ينبغي أنْ يغترّ الإنسان بتلبيسِ الشيطان وظنِّ النَّفْس مهما ادّعت تعظيم قدْر الصلاة، ما لم يمتحنها بالعلامات، ويطالبها بالبراهين والأدلة.

وكيف لا يسعى المؤمن العاقل ـ فضلًا عن طالب العلم ـ إلى ذلك وهي أشرف وأفضل وأعظم عملٍ في حياتِه، ومكانتُها في الشريعة مكانةٌ

(١) أي: القديم المتَّسخ

(٢) فتح الباري لابن رجب ١/ ٣٥٢.

عظيمة عالية، فهي الرّكن الثّاني من أركان الإسلام بعد شهادة التّوحيد.

والشرائع كلُّها بُلِّغت إلى النّبي ﷺ بواسطةِ جبريل عليه السلام، والنّبي ﷺ بين الناس، إلا الصلاة، فإنّ الله تعالى تولّى إيجابها بِمُخاطَبَةِ رسُولِهِ ﷺ لَيْلَةَ الْمِعْراجِ.

وهي الفارق بين الإسلام والكفر، فمن تركها كفر.

وكلّ الفرائض تسقط بالعجز عنها، إلا الصلاة، فلا تسقط مادام الإنسانُ عاقلًا.

والصَّلَوَاتُ الْخَمسُ الْمَكْتُوبَاتُ: «عِمَاد الدِّينِ الَّذِي لَا يَقُومُ إلَّا بِهِ، وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِن الِاعْتِنَاءِ بِهَا مَا لَا يَجِبُ مِن الِاعْتِنَاءِ بِغَيْرِهَا.

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَكْتُبُ إلَى عُمَّالِهِ: إنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ، فَمَن حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَن ضَيَّعَهَا كَانَ لِمَا سِوَاهَا مِن عَمَلِهِ أَشَدَّ إضَاعَةً..

وَهِيَ أَوَّلُ مَا أَوْجَبَهُ اللهُ مِن الْعِبَادَاتِ.

وَهِيَ آخِرُ مَا وَصَّى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ وَقْتَ فِرَاقِ الدُّنْيَا، جَعَلَ يَقُولُ: «**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»(١).

وَهِيَ آخِرُ مَا يُفْقَدُ مِن الدِّينِ؛ فَإِذَا ذَهَبَتْ ذَهَبَ الدِّينُ كُلُّهُ.

وَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ، فَمَتَى ذَهَبَتْ سَقَطَ الدِّينُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ**»(٢).

وَقَد قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ

---

(١) رواه ابن ماجه (١٦٢٥)، وأحمد (١٢١٦٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وأحمد (٢٢٠١٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه وَغَيْرُهُ: إِضَاعَتُهَا تَأْخِيرُهَا عَن وَقْتِهَا، وَلَو تَرَكُوهَا كَانُوا كُفَّارًا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾، وَهُم الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَهَا حَتَّى يَخْرُجَ الْوَقْتُ.

وَقَد اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ صَلَاةِ النَّهَارِ إِلَى اللَّيْلِ»(١).

وكلّ هذه الفضائل العظيمة للصلاة والتي سيأتي المزيد منها، والعواقب الوخيمة لِمن ضيّعها وفرّط فيها: تُحتم على كلّ مسلم أن يتخذ جميع الأسباب لتحسين وضع صلاته وإتمامِها وإكمالِها، وإقامتها إقامةً يليق بقدْرها.

ولا سبيل له إلى ذلك إلا بإتيانه بسنن الصلاة وواجباتها، والخشوع فيها، وتدبر ما يقولُه ويفعلُه؛ «فَإِنَّ مُرَاعَاةَ السُّنَنِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ وَالْعَادَاتِ هُوَ كَمَالُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ»(٢).

فحاسب نفسك ـ أخي المصلي ـ في أمر صلاتك اليوم وقوِّمها، فصلاتُك أَوَّلُ مَا تُحَاسَبُ عَلَيْهِ مِن عَمَلِك يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ٣/ ٤٢٧ ـ ٤٣٠.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ١٨/ ٢٨٧.

طعمُ الصلاة ولذّتُها

الصلاةُ هي الباب الذي يَلِجُ منه المحبون إلى محبوبهم، والقنطرة التي بها يجتاز المتقون إلى قرة عيونهم، والسبب الذي به ينال المخبتون كلّ مرادهم.

قال بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ اللهُ: مَن مثلك يابن آدم؟ خلّي بينك وبين المحراب والماء؟ كلما شئت دخلتَ على الله عَزَّ وَجَلَّ ليس بينك وبينه ترجمان[(١)].

«وَالصَّلَاةُ أَوَّلُ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ، وَأَصْلُ أَعْمَالِ الْإِيمَانِ؛ وَلِهَذَا سَمَّاهَا الله تعالى إيمانًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾؛ أَيْ: صَلَاتَكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، هَكَذَا نُقِل عَنِ السَّلَفِ.

وَفِي «الصَّحِيحِ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ**»[(٢)].

مَعَ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ لَمَّا سَأَلَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ فِي وَقْتِهَا**، قَالَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(٣)].

---

(١) حياة السلف بين القول والعمل للمؤلف، ص١٩٧.
(٢) البخاري (٢٥١٨).
(٣) رواه البخاري (٢٧٨٢)، ومسلم (٨٥).

فَإِنَّ قَوْلَهُ: «**إِيمَانٌ بِاَللهِ**» دَخَلَ فِيهِ الصَّلَاةُ»[(١)].

وللصلاة طعمٌ ولذَّةٌ وسعادةٌ من حُرمها فهو المحروم، ومن لم يذقها فما ذاق طعمَ السعادة الحقيقية، والراحة النفسيّة، والطمأنينة القلبية.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: تفقدوا الحلاوة في الصلاة وفي القرآن وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أنَّ الباب مغلق[(٢)].

وكلّ طاعةٍ إذا أُدّيت على الوجه المطلوب: فإنها تُثمر حلاوةً في القلب ولا بدّ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «سمعت شيخ الإسلام يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا: فاتهمه، فإنَّ الرب شكور.

يعني: أنه لا بد أن يُثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول». اهـ[(٣)].

فإذا لم تجد ـ أخي المصلي ـ لصلاتك حلاوةً ولذّةً فاعلم أنّ في صلاتك خللًا ونقصًا، منع الحلاوة من الوصول إلى قلبك.

قال التابعي الجليل محمد بن واسع وابن المنكدر: «ما بقي في الدنيا شيء أَلَذُّ به إلا الصلاة جماعةً، ولقاء الإخوان»[(٤)].

وصدق مَن قال:

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ٣٥/ ٣٧.
(٢) حياة السلف بين القول والعمل، ص٧٦٦.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٧٣.
(٤) الزهد؛ لأحمد بن حنبل، ص٢٥٤، وحلية الأولياء ٦/ ٢٩١.

وليس لنا منَ اللذَّاتِ شيءٌ   ألذُّ مِن الصلاةِ مَعَ الجماعهْ
تؤدِّي فرضَ ربِّكَ في خُشوعٍ   وتلك - إذا عرَفتَ - أجَلُّ طاعهْ
وقد تلقى أخًا حرًّا نَبيلًا   يُعلِّمُكَ البَصارَةَ والقناعهْ

وإنّ الذين يصلّون الصلاة التي أمر الله تعالى بخشوعها وأركانها وواجباتها وسننها يشعرون بلذّة لا يُعادلها شيءٌ من لذائذ الدنيا، وانظر إلى حالهم حينما يخرجون من بيوتهم إلى مساجد الله تعالى، كيف ترى النور يُشعّ منهم، والبهاء والنضرة على قسمات وجوههم، وذلك لِمَا يشعرون به من اللذة والسعادة الغامرة، التي تخرج في أحيانٍ كثيرة فتبدو على قسمات وجوههم؛ بل بعضهم - والله - يُصارع الضحك من شدّة ما يجده من الأنس والسعادة.

فقل لي - بربك - إن لم تكن هذه جنة الدنيا فما هي جنة الدنيا؟ وإن لم تكن هذه هي السعادة الحقيقية فما هي السعادة؟

قصةٌ يرويها رجلٌ ذاق طعم الخشوع، وكيف تغيّر حاله بعد ذلك

قال أحدُ طلاب العلم: صلَّيت يومًا صلاةً ليست كصلاتي المعتادة، حيث نَزَلَتْ عليّ سكينةٌ لم أعهد مثلها، ولذَّةٌ وخشوعٌ وتدبّر في صلاتي، فأطلتُ في صلاتي؛ لِمَا ذُقْت مِن اللذة والأنس والسعادة والإيمان، وحينما سلّمت من صلاتي قلت في نفسي: لقد عرفت السبب في إطالة النبي ﷺ والسلف الصالح صلاتهم، ودوامِهم وحرصِهم عليها، وهو أنهم ذاقوا كما ذقت اليوم، وشعروا بما شعرت؛ فإن كانوا ذاقوا أكثر فهم في جنةٍ ونعيم، وتذكرتُ قولَ الفضيل بن عياض رحمه الله: لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ.

وقولَ الْآخَرُ: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ.

فحرصت بعد هذه الصلاة على أنْ أقرأ وأبحث عن أسباب الخشوع في الصلاة، وبعد كثرةِ المطالعة والحرص والدعاء تغيّرتْ نظرتي تجاه الصلاة تمامًا، وقد كنت من النادر أنْ أذهب قبل الأذان أو معه للمسجد، وأمّا الآن: فلا يكاد يؤذن إلا وأنا قد انتهيت من الوضوء، وجعلت أرقب وقت الصلاة الأخرى لأنهل من معينها وطعمِها وأسرارِها، وذقت طعم الصلاة وحلاوتها، وجعلتُ أُطيل فيها على غير العادة.

وقد كنت في السابق أُجاهد نفسي في دفع الوساوس والأفكار، وربما ضيّعت المجاهدة بسبب تغلُّبها وكثرتِها.

أما الآن: فأنا أحمد الله تعالى أنّ همِّيَ كلَّه مصروفٌ إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبي شأنَ الصلاة وعبوديةَ ربي تبارك وتعالى فيها بقدر الإمكان.

وأنا أتطلع إلى أن أصل إلى المرتبة الخامسة ـ كما سيأتي ـ التي قال فيها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من إذا قام إلى الصلاة أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عَزَّ وَجَلَّ ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له ممتلئًا من محبته وعظمته؛ كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات وارتفعت حجبها بينه وبين ربه.

وكنت في السابق أتعَجَّب من حال من إذا سمع النداء قام من فوره إلى الصلاة، وأقول: هذا صعبٌ جدًّا، كيف يترك حلاوة الحديث مع الأصحاب، أو الراحة أو الانشغال بشيءٍ يستمتع به، ويترك ذلك بكلّ سهولةٍ، ويذهب إلى الصلاة، وهذا ديدنه كلّ وقت!

ولكن بعد أنْ منّ الله تعالى عليّ بالعلم والخشوع في الصلاة: جعلتُ أعجب ممن لا يُبادر إلى الصلاة، التي وجدت فيها اللذة والسعادة والأنس والطمأنينة.

❁ ❁ ❁

الطمأنينةُ في الصلاة وعدمُ العجلة فيها

شتَّان بين مَن يقول بلسانِ مقالِه وحالِه: أرحنا بالصلاة، وبين من يقول: أرحنا من الصلاة، فالأول يطلب الأنس والراحة في صلاته، والثاني يطلب الخلاص منها، وإذا صلى نقرها نقر الغراب، وصلاها على عجل.

ومثال من ينقر صلاته نقر الغراب، ولا يُتم ركوعها ولا سجودها، ويستعجل فيها، ولا يذوق حلاوتها ولذتها؛ كجائع قُدِّم إليه طعام لذيذ جدًّا، فأكل منه لقمة أو لقمتين، فماذا يغنيان عنه؟ ولكن لو أحسَّ بجوعه لَمَا قام من الطعام حتى يشبع منه وهو يقدر على ذلك، لكنَّ القلب شبعان من شيء آخر.

فهو شبعان من الشهوات وملاذّ الدنيا والغفلة.

وقد كان النبي ﷺ يتلذذ في صلاته، حتى إنه كان يقول: «**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»(١).

وكانت الصلاةُ قرّةَ عينِه، وراحةَ فؤادِه ﷺ، ولذلك كان يُطيل إذا صلى لنفسه، ولولا أنسه بها لَمَا أطال هذه الإطالة.

فعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ،

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٥).

فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ[(١)].

ولك أن تتخيل مدى طول صلاته؟ وقد قرأ فيها ما يُقارب خمسة أجزاء مترسلًا، ويُطيل في ركوعه وسجوده، ولولا أنسه ولذّته في صلاته لَما أطاق ﷺ هذا القيام الطويل.

وقال عَبْدُ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ»، قيل: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ ﷺ[(٢)].

بل كان يُطيل حتى تتفطّر قدماه صلواتُ الله وسلامُه عليه، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟**». متفق عليه[(٣)].

فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ وكبر سنُّه وعجز عن الوقوف طويلًا كما كان قبل ذلك: صَلَّى جَالِسًا؛ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ، ولم يُطِقْ أنْ يُخفّف من صلاتِه؛ لأنّ أنسه ولذّته فيها.

---

(١) رواه مسلم (٧٧٢).

(٢) رواه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٢).

(٣) رواه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

وكلّ من ذاق حلاوة الصلاة: أطال وتمهّل فيها.

فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما كان يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره، لا تحسبه إلا حائطًا.

وكان العلامة ابن القيم رحمه الله «يطيل الصلاة جِدًّا، ويَمُدُّ رُكُوعهَا وَسُجُودهَا، ويَلُومُهُ كثِيرٌ مِنْ أصْحَابِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيانِ، فلَا يَرْجِعُ وَلَا يَنْزِعُ عَنْ ذَلِكَ رحمه الله»(١).

وصدق الحسن البصري رحمه الله حين قال: يابن آدم وماذا يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك؟

والصلاةُ هي «محك الأحوال وميزان الإيمان، بها يوزن إيمان الرجل، ويُتَحقق حاله ومقامه ومقدار قربه من الله ونصيبه منه، فإنها محلُّ المناجاة والقربة، ولا واسطة فيها بين العبد وبين ربه، فلا شيء أقر لعين المحب ولا ألذ لقلبه ولا أنعم لعيشه منها إن كان محبًا، فإنه لا شيء آثر عند المحب ولا أطيب له من خلوته بمحبوبه ومناجاته له ومثوله بين يديه، وقد أقبل بقلبه على محبوبه، وكان قبل ذلك معذبًا بِمُواصلة الخلق، والاشتغال بهم، فإذا قام إلى الصلاة هرب مِن من سوى الله إليه، وآوى عنده، واطمأن بذكره، وقرَّت عينُه بالمثول بين يديه ومناجاته، فلا شيء أهم إليه من الصلاة؛ كأنه في سجن وضيق وغم، حتى تحضر الصلاة، فيجد قلبه قد انفسح وانشرح واستراح، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال: «**يا بلال، أرحنا بالصلاة**»، ولم يقل: أرحنا منها، كما يقول المبطلون الغافلون.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ٢٧٠.

وقال بعض السلف: ليس بمستكمل الإيمان من لم يزل في هم وغم حتى تحضر الصلاة فيزول همه وغمه.

فالصلاة قرة عيون المحبين، وسرور أرواحهم، ولذة قلوبهم، وبهجة نفوسهم، يحملون هَمّ الفراغ منها إذا دخلوا فيها كما يحمل الفارغ البطال همها حتى يقضيها بسرعة، فَلَهُمْ فيها شأْن وللنقَّارين شأْن، يشكون إلى الله سوء صنيعهم بها إذا ائتموا بهم، كما يشكو المعرض الغافل تطويل إمامه، فسبحان مَن فاضل بين النفوس وفاوت بينها هذا التفاوت العظيم.

وبالجملة: فمن كان قرة عينه في الصلاة فلا شيء أحب إليه ولا أنعم عنده منها، ويودّ أَن لو قَطَع عمره بها غير مشتغل بغيرها، وإنما يُسَلِّي نفسه إذا فارقها بأنه سيعود إليها عن قرب، فهو دائمًا يثوب إليها ولا يقضي منها وطرًا، فلا يزنُ العبد إيمانه ومحبته لله بمثل ميزان الصلاة، فإنها الميزان العادل، الذي وزْنُه غير عائل»[(١)].

فالعجب ـ والله ـ ممن لا يتمهل في صلاته وهي ألذّ شيء في هذه الدنيا، وممن لا يحرص على الإتيان بكمال أذكار الركوع والسجود وبقية الأركان!

وإذا جمع بين العجلة وبين شرود الذهن في الصلاة فقد عظمت مُصيبتُه، وبعُد نيل مطلوبِه، وتعسر حصول مقصودِه.

(١) طريق الهجرتين لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ص٣٠٨.
ومعنى عائل: أي: جائر ومائل، يُقال: عَالَ الْمِيزَانُ فَهُوَ عَائِلٌ؛ أَيْ: مَالَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾ [النساء: ٣]، قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا تَمِيلُوا وَلَا تَجُورُوا. [مختار الصحاح: مادة: (عول)].

والله تعالى أمرنا بإقامة الصلاة، «وهو الإتيان بها قائمةً تامةَ القيام والركوع والسجود والأذكار، وقد علق الله سبحانه الفلاح بخشوع المصلي في صلاته، فمن فاته خشوع الصلاة لم يكن من أهل الفلاح، ويستحيل حصول الخشوع مع العجلة والنقر قطعًا؛ بل لا يحصل الخشوع قط إلا مع الطمأنينة، وكلما زاد المصلي طمأنينة ازداد خشوعًا، وكلما قلَّ خشوعُه اشتدت عجلته حتى تصير حركة يديه بمنزلة العبث الذي لا يصحبه خشوعٌ ولا إقبالٌ على العبودية، ولا معرفةُ حقيقةِ العبودية[(١)].

والله سبحانه قد قال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وقال: ﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾، وقال: ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾، وقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، وقال لموسى: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾، ولا تكاد تجد ذكر الصلاة في موضع من التنزيل إلا مقرونًا بإقامتها، فالمصلون في الناس قليل ومقيم الصلاة منهم أقل القليل.

كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الحاج قليل والركب كثير)؛ فالعاملون يعملون الأعمال المأمور بها ويقولون: يكفينا أدنى ما يقع عليه الاسم، وليتنا نأتي به!

ولو علم هؤلاء أنَّ الملائكة تصعد بصلاتهم فتعرضها على الله جَلَّ جَلَالُهُ بمنزلة الهدايا التي يتقرب بها الناس إلى ملوكهم وكبرائهم، فليس مَن عَمَد إلى أفضل ما يقدر عليه فيُزينه ويحسنه ما استطاع، ثم يتقرب به إلى من يرجوه ويخافه؛ كمن يعمد إلى أسْقَطِ ما عنده وأهونه عليه فيستريح

(١) كحال من يرفع يديه عند تكبيرة الإحرام والركوع والرفع منه، رفعًا أقرب للعبث، حيث يرفع يديه إلى قريبٍ من سُرَّتِه وبأطراف أصابِعِه!

منه، ويبعثه إلى مَن لا يقع عنده بموقع، وليس من كانت الصلاة ربيعًا لقلبه، وحياةً له، وراحةً وقرة لعينه، وجلاءً لحزنه، وذهابًا لهمِّه وغمِّه، ومَفزعًا له إليه في نوائبِه ونوازلِه؛ كمن هي تكليفٌ له وثِقْل عليه، فهي كبيرةٌ على هذا، وقرةُ عينٍ وراحةٌ لذلك.

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فإنما كبرت على غير هؤلاء لخلوِّ قلوبهم مِن محبة الله تعالى وتكبيِره وتعظيمِه والخشوعِ له، وقلّةِ رغبتهم فيه؛ فإنَّ حضورَ العبد في الصلاة، وخشوعَه فيها، وتكميلَه لها، واستفراغه وسعَهُ في إقامتها وإتمامها على قدر رغبته في الله تعالى.

قال الإمام أحمد: إنما حظُّهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة، ورغبتُهم في الإسلام على قدر رغبتِهم في الصلاة.

فاعرف نفسك يا عبد الله، واحذر أنْ تلقى الله ﷻ ولا قدر للإسلام عندك، فإنَّ قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك»[(١)].

فيا أيها المصلي: جمّل صلاتك وزيّنها؛ فإنّ الملائكة تصعد بصلاتك فتعرضها على الله تعالى، بمنزلة الهدايا التي يتقرب بها الناسُ إلى ملوكهم وكبرائهم.

وإذا أردت أنْ تعلم قدرك عند الله تعالى؛ فانظر قدر الصلاة في قلبك، وإذا أردت أن تعرف قدر الإسلام في نفسك، فانظر قدر الصلاة في نفسك.

فهل تُعظمها وتُجلّها وتحسب لها ألف حساب؟

(١) الصلاة وأحكام تاركها لابن القيم رحمه الله، ص١٤٠ ـ ١٤١.

وهل تستعد لها أعظم اسْتعداد؟

وهل تتزيّن لها أعظم مما تتزيّن لأعظم مخلوق ومسؤول؟

وهل تتريّث في صلاتك وتطيل فيها؛ لأُنْسِك بها وفرحِك بربك الذي تُناجيه؟

وهل تخرج منها منشرح الصدر مُرتاحَ البال؟

فلْنُحاسب أنفسنا قبل أنْ نُحاسب، ولْنسأل أنفسنا بصدق قبل أنْ نُسأل؛ فالحساب والسؤال يوم القيامة عسير، وهو اليوم سهل ويسير.

❁ ❁ ❁

حال السلف الصالح مع الصلاة

كان سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى يُعظمون أمر الصلاة، ويعرفون قدر من يقفون بين يديه، فقد كان علي بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعْدة، فقيل له: مالك؟ فقال: ما تدرون بين يدي مَن أقوم، ومَن أناجي؟.

وكان عطاء السليمي رَحِمَهُ اللهُ إذا فرغ من وضوئه يبكي أو يكاد يبكي، فيقال له في ذلك فيقول: إني أريد أن أُقْدم على أمر عظيم، أريد أن أقوم بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ[1]!!

ومن شدة اعتناء السلف الصالح بالصلاة: أنّ بعضهم كان إذا فاتَتْه صلاةُ الجماعة يبكي.

وكثير منهم لم تفتهُ تكبيرةُ الإحرام.

وكان الأعمش رَحِمَهُ اللهُ قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى.

وقال سعيد بن المُسيِّب رَحِمَهُ اللهُ: ما فاتَتْني الصلاةُ في جماعة منذ أربعين سنة.

وقال وكيع بن الجراح رَحِمَهُ اللهُ: من تهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يديك منه.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: ما أذَّن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

(١) حياة السلف بين القول والعمل، ص٥٣٣.

وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: صَلَّيت الْمَغْرِب لَيْلَةً، وَمَعَنا شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَن الْمَغْرِبِيّ الزَّاهِدُ، فَلَمَّا سَلَّمْنَا تَمَارَى رَجُلَانِ كَانَا عَنْ يَمِينِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْمَغْرِبِيّ، وَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَقُولُ لِلْآخَرِ: أَسَأْت صَلَاتَك، وَنَقَرْت نَقْرَ الْغُرَاب، وَالْآخَرُ يَقُولُ لَهُ: كَذَبْت؛ بَلْ أَحْسَنْت وَأَجْمَلْت، فَقَالَ الْمُعْتَرِضُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ الزَّاهِدِ: أَلَمْ يَكُنْ إلَى جَانِبِك، فَكَيْفَ رَأَيْته يُصَلِّي؟

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: لَا عِلْمَ لِي بِهِ، كُنْت مُشْتَغِلًا بِنَفْسِي وَصَلَاتِي عَن النَّاسِ وَصَلَاتِهِمْ.

فَخَجِلَ الرَّجُلُ وَأُعْجِبَ الْحَاضِرُونَ بِالْقَوْلِ.

وَصَدَقَ شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الزَّاهِدُ، لَوْ كَانَ لِصَلَاتِهِ قَدْرٌ، أَوْ لَهُ بِهَا شُغْلٌ وَإِقْبَالٌ بِالْكُلِّيَّةِ لَمَا عَلِمَ مَنْ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ يَسَارِهِ فَضْلًا عَنْ مَعْرِفَتِهِ كَيْفِيَّةَ صَلَاتِهِ، وَإِلَّا فَأَحَدُ الرَّجُلَيْنِ أَسَاءَ صَلَاتَهُ فِي حَذْفِ صِفَاتِهَا، وَاخْتِصَارِ أَرْكَانِهَا، وَهَذَا أَسَاءَ صَلَاتَهُ فِي الِاشْتِغَالِ بِصَلَاةِ هَذَا، حَتَّى ذَهَبَ حِفْظُ صَلَاتِهِ وَخُشُوعُهَا. اهـ[1].

وكانوا يَحْكُمون على صلاح الرجل بصلاح صلاتِه، قال أبو العالية رَحِمَهُ اللهُ: كنتُ أرحَلُ إلى الرجل مسيرَة أيام لأسمع منهُ؛ فأتفقَّد صَلاتَه؛ فإن وجَدتُه يُحسِنها، أقمتُ عليه، وإنْ أَجِدْهُ يُضيِّعُها، رحلت ولم أسمع منه، وقلتُ: هو لِما سواها أضْيَع[2].

وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللهُ: خصلتان إذا رأيتهما في الرجل

(١) حياة السلف بين القول والعمل للمؤلف، ص١٩٧ ـ ١٩٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٥/١١٨.

فاعلم أن ما وراءهما خير منهما: إذا كان حابسًا للسانه، يحافظ على صلاته[(١)].

وقال إبراهيم النخعي ووكيع بن الجراح رحمهما الله: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسلْ يدك منه[(٢)].

وكانت الصلاة أحبَّ إليهم من أموالهم وأولادهم، حتى عرف المشركون ذلك، قال جَابِرٌ ﷺ: «غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ، فَقَاتَلُونَا قِتَالًا شَدِيدًا، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لَاقْتَطَعْنَاهُمْ، إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَوْلَادِ». رواه مسلم[(٣)].

(١) حياة السلف بين القول والعمل للمؤلف، ص٦٠٩.
(٢) صفة الصفوة ٣/ ٦٠، الحلية (تهذيبه) ٣/١٠٧.
(٣) (٨٤٠).

الحذرُ من شرود الذهن في الصلاة

الصَّلاةُ في اللُّغةِ الدُّعاءُ، قال تَعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾.

أي: ادع لهم.

«وَسُمِّيَتْ الصَّلَاةُ دُعَاءً لِتَضَمُّنِهَا مَعْنَى الدُّعَاءِ، وَهُوَ الْعِبَادَةُ وَالْمَسْأَلَةُ»[(١)].

فأنت في صلاتك داعٍ لله بلسان الحال والمقال، ومن المعلوم أنّ إجابةَ الدُّعاءِ لا بُدَّ لهَا مِنْ شُرُوطٍ، ومن أعظم وأهمّ شروطها: أَنْ تدْعُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنيَّةٍ صادِقةٍ، وحُضُورِ قَلْبٍ، «فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»[(٢)].

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: يُقَالُ: أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْإِلْحَاحُ عَلَى اللهِ وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ[(٣)].

فإذا أقبلتَ ـ أخي المصلي ـ على ربّك في صلاتِك بنيَّةٍ صادقةٍ، وقلب خاشعٍ ليس بسَاهٍ ولا لاهٍ: فقد أتيت بمقصود الصلاة، وأتيت بأعظم أسباب الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة.

وإذا خلتْ أدعيتُك وأذكارُك في صلاتك من حضور القلب والتضرّع

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ١٠/ ٢٣٨.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٧٩).

(٣) التمهيد لابن عبد البرّ ٥/ ٣٤٦.

والاستكانةِ فهو علامةٌ على الغفلة ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾، «وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي الإكثار من ذكر الله آناء الليل والنهار، خصوصًا طَرَفي النهار، مخلصًا خاشعًا متضرعًا، متذللًا ساكنًا، وتواطأ عليه قلبُه ولسانُه، بأدبٍ ووقار، وإقبال على الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه وعدم غفلة؛ فإن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ»[1].

قال العلامة محمد بن عثيمين رحمه الله: عندما تقرأ الفاتحة فأنت تُناجي الله، وإذا كنت تُفكر وأنت تقرأ الفاتحة فأنت تُناجي ما تُفكر فيه.

إنّ الإنسان ليخجل أن يكون يُناجي الله ﷻ وهو يُناجي المخلوق. اهـ[2].

والغافلُ في صلاتِه إنما يقومُ بحركاتٍ قد اعتادَها، فهو يكررها ساهٍ عنها، غيرِ آبهٍ بمقصودِ صلاتِه ومغزاها.

والغافلُ في صلاتِه من السَّاهين عن الصلاة، حيث سها عن مقصود الصلاة ولبّها، وسها قلبُه عن ربّه وهو واقفٌ بين يديه، وقد توعّد الله تعالى مَن هذه حاله فقال ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾، «أَيْ: الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَقَدِ الْتَزَمُوا بِهَا، ثُمَّ هُمْ عَنْهَا سَاهُونَ:

إِمَّا عَنْ فِعْلِهَا بِالْكُلِّيَّةِ.

وَإِمَّا عَنْ فِعْلِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا شَرْعًا، فَيُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِالْكُلِّيَّةِ.

---

(١) تفسير السعدي، ص٣١٤.

(٢) قاله في أحد أشرطته.

وَإِمَّا عَنْ وَقْتِهَا الْأَوَّلِ فَيُؤَخِّرُونَهَا إِلَى آخِرِهِ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا.

وَإِمَّا عَنْ أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ.

وَإِمَّا عَنِ الْخُشُوعِ فِيهَا والتدبر لمعانيها.

فاللفظ يشمل هذا كله، ولكلِّ مَنِ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قِسْطٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمَنِ اتَّصَفَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ فَقَدْ تَمَّ نَصِيبُهُ مِنْهَا، وَكَمُلَ لَهُ النِّفَاقُ الْعَمَلِيُّ»(١).

وإنَّ شرود الذهن حال العمل لهو دليلٌ على عدم كمال الرغبة والمحبة له، فمَنْ كَثُرَ شرود ذهنه في صلاته فلْيبحث عن الأسباب التي تُساعده على تقوية محبته لصلاته ولقاء ربّه.

ولو أنّك قابلت أحدًا من الناس، وجعلت تُحدّثه وهو غافل عنك، ولا يُبالي بما تقول: لكرهت مقابلته، ولأنكرت عليه سوء صنيعه، ولله المثل الأعلى، فحينما تقف بين يدي الله تعالى فأنت تُناجيه، وهو يُخاطبك بكلامه ﷻ؛ فالقرآن كلام الله، وهو خطاب من الله تعالى لنا، فهل يليق بك ـ أخي المصلي ـ أنْ يشرد ذهنك وأنت واقف بين يديه؟ وهل يليق بك أن تُفكر بغيره وأنت واقف أمامه؟

قيل لعامر بن عبد قيس رحمه الله: أتحدِّث نفسك في الصلاة؟ قال: أحدِّثُها بالوقوف بين يدي الله، ومنصرفي(٢).

ولنْ تحصل على الثمار العظيمة من الصلاة إلا بتفريغ القلب لله تعالى، والانشغال بها بتمجيدِه وحمده والثناء عليه، كما قال النبيّ ﷺ ـ

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٤٩٣.
(٢) حياة السلف بين القول والعمل للمؤلف؛ ص١٩٧.

بعد أن ذكر فضل الوضوء ـ: «**فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ للهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». رواه مسلم[(١)]

وإنه لا يليق بمقام عظمة الصلاة، التي لم يفرضها الله تعالى على رسوله إلا بعد أن رفعه الله إليه ـ حتى ظَهَر لِمُسْتَوَى سمع فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ، وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ العِزَّةِ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ـ[(٢)] ألا ترفع قدرها، وتُعظم شأنها بحضور قلبك، وتفريغه لله تعالى فيها.

والذي يليق بمقام الصلاة التي فرضها الله تعالى على رسوله ﷺ وخاطبه بوجوبها عليه وعلى أمته كفاحًا ليس بينه وبينه تُرْجمان: أنْ تُخاطب الله تعالى وتُناجيَه في صلاتك ـ أيّها المؤمن ـ ليس بينك وبينه وساوس الشيطان، وخواطر وتفكيرٌ في أمور الدنيا.

❁ ❁ ❁

---

(١) (٨٣٢).

(٢) رواه البخاري (٣٤٩)، (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٣).

حكم الخشوع في الصلاة

يُراد بالخشوع معنيان:

المعنى الأول: التَّوَاضُعُ وَالسُّكُونُ، ولا شكّ أنّ كلّ مسلم يجب عليه أنْ يتّصف بالذل والسَّكينة لله تعالى في الصلاة وخارجها، المنافي للكبر والعجب واتِّباع الهوى، «وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِلِينِ الْقَلْبِ الْمُنَافِي لِلْقَسْوَةِ، فَخُشُوعُ الْقَلْبِ يَتَضَمَّنُ عُبُودِيَّتَهُ لله وَطُمَأْنِينَتَهُ أَيْضًا.

وَلِهَذَا كَانَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ يَتَضَمَّنُ هَذَا وَهَذَا: التَّوَاضُعَ وَالسُّكُونَ»[(١)].

«وَيَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ الْخُشُوعِ فِيهَا أَيْضًا قَوْله تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ① ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ②﴾.. وَقَد دَلَّ هَذَا عَلَى وُجُوبِ هَذِهِ الْخِصَالِ؛ إذ لَو كَانَ فِيهَا مَا هُوَ مُسْتَحَبٌّ لَكَانَت جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ تُورَثُ بِدُونِهَا؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ تُنَالُ بِفِعْلِ الْوَاجِبَاتِ دُونَ الْمُسْتَحَبَّات.

وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ إلَّا مَا هُوَ وَاجِبٌ.

وَإِذَا كَانَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ وَاجِبًا: فَالْخُشُوعُ يَتَضَمَّنُ السَّكِينَةَ وَالتَّوَاضُعَ جَمِيعًا..

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي حَالِ رُكُوعِهِ: «**اللَّهُمَّ لَك رَكَعْت وَبِك**

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٧/ ٢٨.

آمَنْت وَلَك أَسْلَمْت، خَشَعَ لَك سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَقْلِي وَعَصَبِي».
رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

فَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْخُشُوعِ فِي حَالِ الرُّكُوعِ؛ لِأَنَّ الرَّاكِعَ سَاكِنٌ مُتَوَاضِعٌ، وَبِذَلِكَ فُسِّرَت الْآيَةُ..

وَإِذَا كَانَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ وَاجِبًا وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلسُّكُونِ: فَمَن نَقَرَ نَقْرَ الْغُرَابِ لَمْ يَخْشَعْ فِي سُجُودِهِ، وَكَذَلِكَ مَن لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ مِن الرُّكُوعِ وَيَسْتَقِرَّ قَبْلَ أَنْ يَنْخَفِضَ لَمْ يَسْكُنْ؛ لِأَنَّ السُّكُونَ هُوَ الطُّمَأْنِينَةُ بِعَيْنِهَا.

فَمَن لَمْ يَطْمَئِنَّ لَمْ يَسْكُنْ، وَمَن لَمْ يَسْكُنْ لَمْ يَخْشَعْ فِي رُكُوعِهِ وَلَا فِي سُجُودِهِ، وَمَن لَمْ يَخْشَعْ: كَانَ آثِمًا عَاصِيًا..

فَإِنَّ السُّكُونَ فِيهَا يَكُونُ بِحَرَكَةٍ مُعْتَدِلَةٍ لَا سَرِيعَةٍ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَشْيِ إلَيْهَا وَهِيَ حَرَكَةٌ إلَيْهَا، فَكَيْفَ بِالْحَرَكَةِ فِيهَا؟ فَقَالَ: «**إذَا أَتَيْتُمْ الصَّلَاةَ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ وائتوها وَعَلَيْكُم السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَاقْضُوا**»..

فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَد أَمَرَ بِالسَّكِينَةِ حَالَ الذَّهَابِ إلَى الصَّلَاةِ، وَنَهَى عَن السَّعْيِ الَّذِي هُوَ إسْرَاعٌ فِي ذَلِكَ لِكَوْنِهِ سَبَبًا لِلصَّلَاةِ: فَالصَّلَاةُ أَحَقُّ أَنْ يُؤْمَرَ فِيهَا بِالسَّكِينَةِ وَيُنْهَى فِيهَا عَن الِاسْتِعْجَالِ..

وَأَيْضًا: فَإِنَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لَا يَكُونُ إلَّا إذَا سَكَنَ حِينَ انْحِنَائِهِ وَحِينَ وَضْعِ وَجْهِهِ عَلَى الْأَرْضِ، فَأَمَّا مُجَرَّدُ الْخَفْضِ وَالرَّفْعِ عَنْهُ: فَلَا يُسَمَّى ذَلِكَ رُكُوعًا وَلَا سُجُودًا، وَمَن سَمَّاهُ رُكُوعًا وَسُجُودًا فَقَد غَلِطَ عَلَى اللُّغَةِ»(١).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢٢/ ٥٥٤ ـ ٥٦٥.

ومِن ذلِّ المصلي لله ولزومِه السكينة في الصلاة:

١ ـ ذلُّه وسكينتُه في مُخطابته ﷻ، في دعائه وتلاوة كلامه وذكرِه.

فخاطِبْ ـ أخي المصلي ـ ربَّ العزة والجلال بكلّ ذلّ وسكينة وأدب، وأَخْرِجْ سؤالك له مخرج المحتاج المتلهّف الصادق في سؤاله، واتل كلامه تلاوةً فيها غاية الأدب والتأني والترتيل، وانْوِ حال ذكرك ودعائك وتلاوتك لكلام ربّك أنك تُناجيه ﷻ، وبهذا تذوقُ حلاوةَ الصلاة، وتتأمّل ما تقول، سئُل سفيان الثوري رحمه الله عن الرجل يصلي أي شيء ينوي بصلاته؟ قال: ينوي أنْ يناجي ربه[١].

٢ ـ ذلُّه وسكينتُه في حركات الصلاة، في ركوعِه وسجودِه وجلوسه وحركات انتقالِه.

والعجلة تُخالف الاتِّصَاف بالذل والسكينة.

ولو وقف أحدٌ أمام أحد ملوك الأرض لكانت حركتُه ووقوفُه في غاية الأدب والتؤدة والسكينة، والله تعالى أحقّ بأن يُتأدّب معه ولا مُقارنة.

وجماع ذلك كلّه: الأدب مع الربّ جل وعلا، وقد قال إمام دار الهجرة الإمام مَالِك بْن أَنَسٍ رحمه الله تعالى: «تَعَلَّمِ الأدب قبل أنْ تتعلم العلم»[٢].

واعلم أنَّ القليلَ من الأدبِ خيرٌ مِن كثيرٍ من العمل؛ «ولذلك هلك إبليسُ وضاع أَكْثَرُ عمله بقلة أدبه»[٣].

---

(١) حياة السلف بين القول والعمل، ص٢٢١.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٣٠.

(٣) الفروق للقرافي ٤/ ٢٧٢.

«وكاد الأدب يكون ثُلثَي الدِّين»[١]، «بل الأدب هو الدين كلُّه»[٢].

وإنَّ الأدبَ مُقدمٌ على العلم والعمل، وسابق عليهما، فإذا قدم الإنسان العلم أو العمل على الأدب: شاب علمه وعمله الكثير من الهوى والفساد.

فعبادة الإنسان ولو كثرت وعظمت، إن لم تكن بأدب جمّ مع الله: دَخَلها الخللُ والنقص.

فشتان بين رجلين يقفان بين يدي الله تعالى، **أحدهما**: يكظم ما استطاع من تثاؤُبِه، أو يضع منديلًا أو نحوَه على فمه إذا غلبه التثاؤب ولا يصدر منه صوت، ويمتخط ويتجشأ بصوت لا يكاد يُسمع إذا احتاج إلى ذلك، كلّ ذلك الهدوءُ إنما هو لحيائه من الله ـ جلّ في علاه ـ الذي يقف أمامه، وأدبًا معه سبحانه.

وأما الآخر: فعلى النقيضِ من ذلك، فتجده تصدر منه الأصوات المزعجة في تثاؤبه وامتخاطِه وجُشائه، ويفتح فمه عند التَّثاؤب ولا يضع شيئًا على فمه، وربما أكمل القراءة وهو يتثاءب، فهذا بعيدٌ عن الأدب.

فشتان والله بينهما[٣].

وقد نبّه على هذا الأدب رَسُولُ اللهِ ﷺ، حيث رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ**

(١) قاله عبد الله بن المبارك، كما في صفة الصفوة ٤/ ٣٧٩.
(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٣/ ٢٠٠.
(٣) عِبَاراتٌ تأثّرتُ بِها وَغيَّرتُ فِي حَيَاتِي للمؤلف، ص١٤٠.

فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِهِ؟ فَإِذَا تَنَخَّعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَنَخَّعْ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ قَدَمِهِ»(١).

وقال: «**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ**»(٢).

فمن يُناجي ربّه ويستقبله لا يليق به أنْ يتثاءب فاتحًا فمه.

أَيُحِبُّ أَحَدُنا أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَثاءب فِي وَجْهِهِ؟

من يُناجي ربّه ويستقبله لا يليق به أنْ يتجشّأ بصوتٍ قبيح.

أَيُحِبُّ أَحَدُنا أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتجشّأ فِي وَجْهِهِ؟

من يُناجي ربّه ويستقبله لا يليق به أنْ يُناجيه ببرودٍ وشرود ذهن.

أَيُحِبُّ أَحَدُنا أَنْ يُسْتَقْبَلَ ببرود وعدم اهتمام؟

المعنى الثاني: التفكر في شأن الصلاة، وعدم شرود الذهن فيها، وهذا أخصّ من الأول، وهو من لوازِمِه، فمن تحلّى بصفة الذل والسَّكينة لله تعالى فلا بدّ أن يُعَظِّم شأن الصلاة، ويتفكر فيما يقرأ، ويُجلّ من يقف بين يديه.

وكلّما ضعُف ذلُّ المصلي وَتواضُعه وسكينتُه لله تعالى: شَرِدَ ذهنُه وعبث في صلاته.

ولا شك أنّ الخشوع في الصلاة هو لبُّ الصلاة وروحُها، وهو المقصود الأعظم من مشروعيّتها، فمن لم يخشع: لم يذكر الله بقلبِه فيها، ولم يتدبّر في آية ولا في ذكرٍ، ولم يُفرّغ قلبه لله، ولم يَوْجَلْ قلبُه

(١) رواه البخاري (٤١٦)، ومسلم (٥٥٠).
(٢) رواه البخاري (٤١٧)، ومسلم (٥٥١).

مِن خشية الله، ولم تزده الصلاةُ إيمانًا وأنسًا، وهذا حالُ كثيرٍ من المصلين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما عن الحكم الشرعيّ للخشوع، فلا شك أنه واجبٌ على كلا المعنيين، واتفق العلماءُ على بطلان صلاةِ من لم يخشع في صلاته بالمعنى الأول، وهو التواضع والسكون في أدائها.

واختلفوا في بطلان صلاةِ من لم يخشع في صلاته بالمعنى الثاني، وهو التفكر في الصلاة وعدمُ شرود الذهن.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقِلْتَ مِنْهَا.

وَفِي «مُسْنَدِ الإمام أحمد» رحمه الله[١] مَرْفُوعًا «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ، وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلَّا نِصْفُهَا، أَوْ ثُلُثُهَا، أَوْ رُبُعُهَا**» حَتَّى بَلَغَ عُشْرَهَا.

«وَقَدْ عَلَّقَ اللهُ فَلَاحَ الْمُصَلِّينَ بِالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْشَعْ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ، وَلَوِ اعْتَدَّ لَهُ بِهَا ثَوَابًا لَكَانَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ.

وأما الِاعْتِدَادُ بِهَا فِي الثَّوَابِ: فَلَا يُعْتَدُّ لَهُ فِيهَا إِلَّا بِمَا عَقِلَ فِيهِ مِنْهَا، وَخَشَعَ فِيهِ لِرَبِّهِ.

وَأَمَّا الِاعْتِدَادُ بِهَا فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، وَسُقُوطِ الْقَضَاءِ: فَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهَا الْخُشُوعُ وَتَعَقَّلَهَا اعْتُدَّ بِهَا إِجْمَاعًا، وَكَانَتِ السُّنَنُ وَالْأَذْكَارُ عَقِيبَهَا جَوَابِرَ وَمُكَمِّلَاتٍ لِنَقْصِهَا.

وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ عَدَمُ الْخُشُوعِ فِيهَا، وَعَدَمُ تَعَقُّلِهَا: فَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي وُجُوبِ إِعَادَتِهَا»[٢].

(١) (١٨٨٩٤).

(٢) مدراج السالكين ١/ ٥٢٢.

والراجح عند العلماء أَنَّ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ مَشْرُوطٌ بِحُضُورِ قلبِه، ولا يجب عليه الْإِعَادَة ولو لم يعقل من صلاته شيئًا.

إقامةُ الصلاة
هي مبدأُ وكمالُ صلاحِ المؤمن

إنّ مبدأ وكمال صلاح المؤمن من إقامتِه الصلاة، فمتى حرص على القيام بأركانها وواجباتها، وخشوعها، وصَدَق في توجهه إلى الله تعالى: استقامت حالُه، وانفرجت كُربُه، وعلت همّتُه، وتحقق ما يطمح إليه.

فلا تحلم ـ يا طالب العلم ـ بنيل بركة العلم وشرفِه وإتقانِه ما لم تبدأ بإتقانِ وإقامةِ صلاتِك.

ولا تنتظر ـ يا من تُعاني من الهمّ والضيق ـ انفراجًا وزوالًا لهمومك ونكد عيشك ما لم تُصلح حالك في صلاتك.

ومن أراد أنْ تَسْهُل عليه جميع الطاعات، وتنقاد نفسُه لجميع العبادات فعليه بإقامة الصلاة والخشوع فيها.

ومن أراد بركة الرزق والأهل والعيش فعليه بإقامة الصلاة.

ومن أراد أقرب وأسهل وأضمن وسيلةٍ لترك محرّم أو مُنكر أو فاحشة فعليه بإقامة الصلاة.

ومن أراد أن يُحَسِّن أخلاقَه ويُعَدِّل طِباعه وتزول حدّةُ غضبِه فعليه بإقامة الصلاة.

فالصلاةُ هي مبدأ كلّ خير وبرّ وسعادة وفلاح، وهي نهايةُ كلّ شرّ وضيقٍ ونكدٍ.

قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾.

فاستعن بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ في الحصول على كلّ ما تُريد من خيري الدنيا والآخرة، والخلاص من كلّ ما تكره من شرٍّ وضررٍ عليك في دينك ودنياك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا يَجْتَمِعُ لِلْعَبْدِ فِي الصَّلَاةِ لَا يَجْتَمِعُ لَهُ فِي غَيْرِهَا مِن سَائِرِ الْعِبَادَاتِ، كَمَا عَرَفَهُ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ الْحَيَّةِ، وَأَصْحَابُ الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ. اهـ(١).

«والْمُحَافِظُ عَلَى هَذِهِ الصَّلَاةِ الْفُضْلَى يَنْهاهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، فَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ حِلْسًا مِنْ أَحْلَاسِ بُيُوتِ الْقِمَارِ وَمَعَاهِدِ اللهْوِ وَالْفِسْقِ.

الْمُحَافِظُ عَلَى هَذِهِ الصَّلَاةِ لَا يَمْنَعُ الْمَاعُونَ؛ بَلْ يَبْذُلُ مَعُونَتَهُ وَرِفْدَهُ لِمَنْ يَرَاهُ مُسْتَحِقًّا لَهُمَا.

الْمُحَافِظُ عَلَى هَذِهِ الصَّلَاةِ لَا يُخْلِفُ وَلَا يَلْوِي فِي حَقِّ غَيْرِهِ عَلَيْهِ.

الْمُحَافِظُ عَلَى هَذِهِ الصَّلَاةِ لَا يُضِيعُ حُقُوقَ أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَلَا حُقُوقَ أَقَارِبِهِ وَجِيرَانِهِ، وَلَا حُقُوقَ مُعَامِلِيهِ وَإِخْوَانِهِ.

الْمُحَافِظُ عَلَى هَذِهِ الصَّلَاةِ يُعَظِّمُ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، وَيَحْتَقِرُ الْبَاطِلَ وَجُنْدَهُ، فَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ وَلَا لِأُمَّتِهِ بِالذُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَلَا يَغْتَرُّ بِأَهْلِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ.

الْمُحَافِظُ عَلَى هَذِهِ الصَّلَاةِ لَا تُجْزِعُهُ النَّوَائِبُ، وَلَا تَفُلُّ غِرَارَ عَزْمِهِ الْمَصَائِبُ، وَلَا تُبْطِرُهُ النِّعَمُ، وَلَا تَقْطَعُ رَجَاءَهُ النِّقَمُ، وَلَا تَعْبَثُ بِهِ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/ ٥٣٢.

الْخُرَافَاتُ وَالْأَوْهَامُ، وَلَا تَطِيرُ بِهِ رِيَاحُ الْأَمَانِيِّ وَالْأَحْلَام، فَهُوَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ الَّذِي يُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَيُرْجَى فِي النَّاسِ خَيْرُهُ، وَلَوْ أَنَّ فِينَا طَائِفَةً مِنَ الْمُصَلِّينَ الْخَاشِعِينَ لَأَقَمْنَا بِهِمُ الْحُجَّةَ عَلَى الْمَارِقِينَ وَالْمُرْتَابِينَ.

وَلَكِنَّ الْمُحَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى مَعَ الْقُنُوتِ وَالْخُشُوعِ قَدْ صَارَ أَنْدَرَ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ»[1].

جعلنا الله ـ جلّت قدرتُه ـ من الْمُحَافِظين عَلَى هَذِهِ الصَّلاَةِ...

آمين.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير المنار ٢/ ٣٥١.

مراتب الناس في خشوعهم وحضور قلوبهم في صلاتهم

الناس مُختلفون في خشوعهم وحضور قلوبهم في صلاتهم اختلافًا كبيرًا، وهم في ذلك خمس مراتب، ذكرها العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: الناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبُه [في] مراعاةِ حدودها وحقوقها؛ لئلا يُضَيِّع شيئًا منها؛ بل همُّه كلُّه مصروفٌ إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبُه شأنَ الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا

قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه ﷻ ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له ممتلئًا من محبته وعظمته؛ كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه ﷻ قرير العين به.

فالقسم الأول: معاقب، **والثاني:** محاسب، **والثالث:** مُكَفَّرٌ عنه، **والرابع:** مثاب، **والخامس:** مُقَرَّبٌ من ربه؛ لأن له نصيبًا ممن جُعلت قرة عينه في الصلاة.

فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه ﷻ في الآخرة، وقرت عينه أيضًا به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كلُّ عين، ومن لم تقر عينُه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات. اهـ[(١)].

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن قرت عينه بصلاته في الدنيا، وقرت عينه بقربه من ربه ﷻ في الآخرة.

❁ ❁ ❁

(١) الوابل الصيب، ص٢٣ ـ ٢٤.

مقصودُ الصلاة الأعظم

الصلاة لها مقصودان: النهي عَن الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكرِ، وذِكْرُ اللهِ الَّذِي فِي الصَّلَاةِ، وذكر الله أكبر مقاصدها.

قَال تَعالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ «أي: تَحمِلُ على الامتناعِ مِنْ ذلك، بما يَحْدُثُ في قلب المصلِّي بسببها من النُّورِ والانشراح، والخوفِ من الله تعالى والحياءِ منه»[(١)].

ثم ذكر الله تعالى المقصود الثاني للصلاة فقال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾.

فالصَّلَاةُ «تَشْتَمِلُ عَلَى شَيْئَيْنِ:

١ - عَلَى تَرْكِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ؛ أَيْ: إِنَّ مُوَاظَبَتَهَا تَحمِلُ عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ.

فمَن حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ بِخُشُوعِهَا الْبَاطِنِ، وَأَعْمَالِهَا الظَّاهِرَةِ، وَكَانَ يَخْشَى اللهَ الْخَشْيَةَ الَّتِي أَمَرَهُ بِهَا: فَإِنَّهُ يَأْتِي بِالْوَاجِبَاتِ، وَلَا يَأْتِي كَبِيرَةً.

وَمَن أَتَى الْكَبَائِرَ؛ مِثْل الزِّنَا، أَو السَّرِقَةِ، أَو شُرْبِ الْخَمْرِ، أَو الغيبة أو النميمة أو الكبر أو العجب وَغيْرِ ذَلِكَ: فَلَا بُدَّ أَنْ يَذْهَبَ مَا فِي

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ١/ ٣٠٧.

قَلْبِهِ مِن تِلْكَ الْخَشْيَةِ وَالْخُشُوعِ وَالنُّورِ، وَإِن بَقِيَ أَصْلُ التَّصْدِيقِ فِي قَلْبِهِ، وَهَذَا مِن الْإِيمَانِ الَّذِي يُنْزَعُ مِنْهُ عِنْدَ فِعْلِ الْكَبِيرَةِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»**(١).

٢ ـ وَتَشْتَمِلُ الصَّلَاةُ أَيْضًا عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ الْأَكْبَرُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أَيْ: أَعْظَمُ مِنَ الْأَوَّلِ»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ بَيَانٌ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَنْفَعَةِ وَالْمَصْلَحَةِ؛ أَيْ: ذِكْرُ اللهِ الَّذِي فِيهَا أَكْبَرُ مِن كَوْنِهَا نَاهِيَةً عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ لِنَفْسِهِ. اهـ(٣).

وأمر الله تعالى نبيّه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنْ يُقيم الصلاة لأجل ذكره تعالى فقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ١٤﴾.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها. اهـ(٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: واللامُ: لامُ التَّعْليل؛ أي: أقم الصَّلاة لأجل ذكري. اهـ(٥).

وقد يقول قائل: المؤمن مطلوبٌ منه أنْ يذكر الله تعالى في كلِّ وقت، فلِماذا خصّ الصلاة لذكره؟

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).
(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٧/ ٣١.
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٠/ ١٩٣.
(٤) تفسير الطبري ١٨/ ٢٨٤.
(٥) الوابل الصيب، ص٧٤.

والجواب: أنّ الصلاة مشتملة على أعلى وأرفع وأكمل أنواع الذكر، فهي مشتملة على تلاوة القرآن والدعاء والتضرع ومختلف أنواع الذكر من التسبيح والتعظيم والتحميد والثناء ما لا يجتمع في غير الصلاة.

فجمعت الصلاة ما كان متفرِّقًا من الأذكار، واشتملت على أعلى مراتب الاعتبار والادّكار، وانتشلت المصلي من عالم الحياة الفانية إلى الحياة الباقية، ومن مُناجاة المخلوق إلى مُناجاة الخالق، ولذلك مُنع المصلي من قطع صلاتِه بلا حاجة، ومُنع من الالتفات والعبث المنافي لمقام الحضرة بين يدي ملك الملوك، ومُنع الناسُ من المرور بين يدي المصلي؛ لأنه يقطع عليه مُناجاته لله تبارك وتعالى، ويدخل بينه وبين ربّه، وهذا من سوء الأدب.

وإذا كان من أعظم مقاصد الصلاة: ذكر الله تعالى، فمِن الحرمان ألا يتأمل المصلي ما اشْتملتْ عليه الصلاةُ مِن الأذكار والقرآن، ومَن فعل ذلك لم يأت بمقصود الصلاة.

الأسباب المؤدّية إلى الخشوع في الصلاة

مَن أراد أن يخشع في صلاته، وأن تكون ألذّ شيء عنده، فعليه باتِّخاذ الأسباب المؤدّية إلى ذلك، ومنها:

السبب الأول
أن يستحضر عظمتها وقدرها وشرفها عند الله

تأمل معي ـ جعلني الله وإياك من مقيمي الصلاة ـ كيف أنّ الله سبحانه ذكر الصلاة في كتابه في أكثر من ستّين مرّة، وهذا يدل دلالةً واضحةً جليّةً على عظم شأنها عند ربنا ﷻ.

وقد أمر بالصلاة أفضل خلقه محمدًا ﷺ فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾.

وأمره بالْمُبالغة في الصبر على إقامتها، وأنْ يأمر أهله بها فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.

وأمر بها مريم عليها السلام فقال: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾.

فكانت عابدةً كثيرةَ الصلاة والسجود والركوع لله تعالى.

وحينما أنْطقَ الله سبحانه ابنها عِيسَى عليه السلام وهو فِي الْمَهْدِ كان أوّل ما نطق أنْ قال: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾.

وأمر بها إبراهيم وإسْحاق وَيَعْقُوب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فقال: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾.

وحينما قَرَّب الله عَزَّ وَجَلَّ مُوسى نَجِيًّا، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، «فَكَانَ أَوَّلَ مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ بَعْدَ افْتِرَاضِهِ عَلَيْهِ عِبادَتَهُ إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَنُصَّ لَهُ فَرِيضَةً غَيْرَهَا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُخاطِبًا لِمُوسَى بِكَلِمَاتِهِ لَيْس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٣، ١٤] فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى عِظَمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ وَفَضْلِهَا عَلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ، إِذْ لَمْ يُبْدِ مُنَاجِيَهُ وَكَلِيمَهُ بِفَرِيضَةٍ أَوَّلَ مِنْهَا..

ثُمَّ كَانَ مِنْ أَوَّلِ مَا أُمِرَ بِهِ مُوسَى أَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَنْ آمَنُوا بِهِ الصَّلَاةُ، فَقَالَ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [يونس: ٨٧]..

وَقَالَ فِي قِصَّةِ شُعَيْبٍ لَمَّا نَهَى قَوْمَهُ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّطْفِيفِ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ فَقَالُوا: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود: ٨٧]»[(١)].

وحينما ذكر الله تعالى دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الطويل لربّه جَلَّ وَعَلَا، ومما طلب منه في دعائه أنْ يُسكن بعض أبنائه بوادٍ مُجدبٍ مُقْفر، المجاور للبيت المحرم، وذكر الوظيفة التي أسكنهم في هذا المكان الجدب ليقوموا بها فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾.

(١) تعظيم قدر الصلاة، لأبي عبد الله محمد بن نصر المَرْوَزي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، ص٩٦ ـ ١١٢.

لماذا؟

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾..

أي: «فعلت ذلك يا ربنا كي تؤدَّى فرائضك من الصلاة التي أوجبتها عليهم في بيتك المحرّم»(١).

وتأمل كيف كرر النِّدَاء ﴿رَبَّنَآ﴾، وذلك «لِإِظْهَارِ الْعِنَايَةِ الْكَامِلَةِ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ»(٢).

ثم يكرر ذكر الصلاة فيدعو ربّه أن يجعله مُقيمًا لها، مُحافظًا على أدائها فيقول: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠﴾.

ولقد نشأ ابنه إسْماعِيل عليه السلام مُحبًّا ومُعظّمًا للصلاة، ولقد أثنى الله تعالى عليه بأنه شديد العناية بها فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾.

وحينما ذكر بعض أوليائه وأنبيائه قال عنهم: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝٧٣﴾.

أليست الصلاة والزكاةُ من فعل الخيرات؟

بلى.

إذن، فلماذا خص ذكرهما؟

لشرفهما وأهميتهما وعناية الله بهما، ولأنهما أَصْلَا جِمَاعِ الدِّينِ الْعَامِّ، كَمَا يُقَالُ: التَّعْظِيمُ لِأَمْرِ اللهِ، وَالرَّحْمَةُ لِعِبَادِ اللهِ.

قَالَ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ وَقَال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾.

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٢٥.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٣/ ١٣٥.

«فَالتَّعْظِيمُ لِأَمْرِ اللهِ يَكُونُ بِالْخُشُوعِ وَالتَّوَاضُعِ وَذَلِكَ أَصْلُ التَّقْوَى، وَالرَّحْمَةُ لِعِبَادِ اللهِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَهَذَانِ هُمَا حَقِيقَةُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلْخُشُوعِ لِلهِ وَالْعُبُودِيَّةِ لَهُ وَالتَّوَاضُعِ لَهُ وَالذُّلِّ لَهُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مُضَادٌّ لِلْخُيَلَاءِ وَالْفَخْرِ وَالْكِبْرِ.

وَالزَّكَاةُ مُتَضَمِّنَةٌ لِنَفْعِ الْخَلْقِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِم وَذَلِكَ مُضَادٌّ لِلْبُخْلِ.

وَلِهَذَا وَغَيْرِهِ كَثُرَ الْقِرَانُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فِي كِتَابِ اللهِ»(١).

فتأمل ـ أخي الكريم ـ إلى عانيةِ الله تعالى الشديدةِ بأمر الصلاةَ، حيث كرر وأعاد ذكرها في كتابِه، وجعلها أهمّ وأولى وصاياه لأنبيائه وأوليائِه، فهل يليق بمن أمن بالله تعالى ألا يجعل الصلاة أكبر همّه، وأولى اهْتماماتِه، ومحلّ عنايتِه؟

وحينما كان للصلاة هذه العناية والاهتمام عند الله تعالى: رتّب عليها الأجور والفضائل العظيمة التي لا تخطر على بال، ولم يكن لأيّ عبادة غيرها ـ بعد التوحيد والإيمان ـ مثل هذا النصيب والحظ الكبير، فمن فضائل الصلاة العظيمة ما يلي:

١ ـ أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ قال الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

فمن واظب عليها وخشع فيها، وأتى بأركانها وواجباتها: فإنها ستملأ قلبه إيمانًا بالله، وتعظيمًا وإجلالًا له سبحانه، وحبًّا له، وخوفًا منه، وإذا مُلِئ القلب بذلك: فإنه لن يُحب معصية الله ولو كانت النفس

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١٤/ ٢١٤ ـ ٢١٥.

تهوى ذلك؛ بل إنه مع كثرة الصلاة: سيكره المعصية ويُبغضها، وتظهر له حقيقة أمرها، وشُؤم عاقبتها، فيُصبح القلب مُحبًّا للطاعات وحريصًا عليها، وكارهًا للذنوب ونافرًا منها.

٢ ـ أنها أفضل الأعمال بعد الشهادتين؛ لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة لوقتها**» قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: «**برّ الوالدين**» قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(١).

٣ ـ أنها تغسل الخطايا؛ لحديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات**»(٢).

٤ ـ أنها تكفّر السيئات؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر**»(٣).

٥ ـ أنها نورٌ لصاحبها في الدنيا والآخرة؛ لحديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا: «**الصلاة نور**»(٤).

ومعناه: أنّ الصلاةَ إذا فُعلت بشروطها المصححة والمكملة: نوّرت القلب؛ بحيث تشرق فيه أنوار المعارف، حتى ينتهي أمرُ مَن يراعيها حقّ رعايتها إلى أنْ تقرّ عينُه بها ويقول: «**وجُعلت قرة عيني في الصلاة**».

وأيضًا: فإنها تنوِّر بين يدي مراعيها يوم القيامة في تلك الظلم.

---

(١) متفق عليه: البخاري، برقم (٧٥٣٤)، ومسلم، برقم (٨٥).
(٢) مسلم، برقم (٦٦٨).
(٣) مسلم، برقم (٢٣٣).
(٤) مسلم، برقم (٢٢٣).

وأيضًا: فيتنوّر وجه المصلي يوم القيامة، فيكون ذا غرةٍ وتحجيل، كما قال ﷺ: **«إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»**(١).

٦ ـ أن الله تعالى يرفع بها الدرجات، ويحط الخطايا؛ لحديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال له: **«عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدةً إلا رفعك الله بها درجة، وحطَّ عنك بها خطيئة»**(٢).

٧ ـ أنها من أعظم أسباب دخول الجنة برفقة النبي ﷺ؛ لحديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: **«سَلْ»** فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: **«أو غير ذلك؟»** قلت: هو ذاك، قال: **«فأعني على نفسك بكثرة السجود»**(٣).

٨ ـ أن المشي إليها تكتب به الحسنات وترفع الدرجات وتحط الخطايا؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تطهَّر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله؛ ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خَطْوَتاه إحداهما تحطُّ خطيئة، والأخرى ترفع درجة»**(٤).

٩ ـ أن الله تعالى يغفر بها الذنوب فيما بينها وبين الصلاة التي تليها؛ لحديث عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء، فيصلي صلاة إلا غفر الله له ما بينه وبين**

---

(١) رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦).
يُنظر: والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي رحمه الله ١/ ٤٧٦.
(٢) أخرجه مسلم، برقم (٤٨٨). (٣) مسلم، برقم (٤٨٩).
(٤) مسلم، برقم (٦٦٦).

الصلاة التي تليها»(١).

١٠ ـ أنها تكفر ما قبلها من الذنوب؛ لحديث عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يأتِ كبيرة، وذلك الدهر كلّه»**(٢).

١١ ـ أن الملائكة تُصلّي على صاحبها ما دام في مُصلّاه، وهو في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، كما سيأتي دليل ذلك.

١٢ ـ أن انتظارها رباط في سبيل الله؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات»**؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»**(٣).

«وإنَّما كان ملازمة المسجد للطاعات مكفرًا للذنوب؛ لأنّ فيه مجاهدةَ النفس، وكفًّا لها عن أهوائها، فإنها لا تميل إلا إِلَى الانتشار في الأرض لابتغاء الكسب، أو لمجالسة الناس لمحادثتهم، أو للتنزه في الدور الأنيقة والمساكن الحسنة ومواطن النُّزَه ونحو ذلك، فمن حبس نفْسه في المساجد عَلَى الطاعة فهو مرابط لها في سبيل الله، مخالفٌ لهواها، وذلك من أفضل أنواع الصبر والجهاد»(٤).

١٣ ـ أنّ من صلى الفجر فهو في ذمّة الله، فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي**

---

(١) متفق عليه: البخاري، برقم (٦٦٢)، ومسلم، برقم (٦٦٩).
(٢) مسلم، برقم (٢٢٧).
(٣) مسلم، برقم (٢٥١).
(٤) مجموع رسائل ابن رجب ٤/ ٣٤

ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ». أي: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الفجرِ فَهُوَ في أمان الله، وفي جواره؛ أي: قد استجار بالله تعالى، واللهُ تعالى قد أجاره، فلا ينبغي لأحدٍ(١) أنْ يتعرض له بضرٍّ أو أذى، فمن فعل ذلك فالله تعالى يطلبه بحقه، ومن يطلبه لم يجد مفرًّا ولا ملجأ»(٢).

وهذا وعيد شديد لمن يتعرض للمصلِّين، بأنْ يظلمهم أو يغتابهم أو يُضيّق صدورهم بغير حقّ.

وكان من عادة العرب أنه لا يخفرون جوار أحد، ومن فعل ذلك مقتوه وأعلنوا الحرب عليه، فما بالك بمن يخفر جوار الله وذمّته؟

وفيه فضيلة عظيمةٌ لصلاةِ الفجر على جهة الخصوص، وهذه الفضيلة قد لا تتحقق فيمن ينقرها نقرًا، أو يشرد ذهنُه فيها ولا يخشع فيها.

وينبغي لمن صلى الصبح أن يكون واثقًا بجوار الله، وآمنًا من أيّ مكروه؛ لأنه في حماية الله وجوارِه، والإنسان إذا كان في جوار مَلِكٍ من ملوك الدنيا فرح وافتخر وأمن، فكيف بجوار الله الواحد القهار؟

١٤ ـ أنّ مَن حَافَظَ على صلاةِ الْعَصْرَ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ، فعَنْ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ ﵁ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَصْرَ فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ عُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا، فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**». رواه مسلم(٣).

فلْيحذر مِن تساهل في هذه الصلاة أنْ يتشبّه بالأمم السالفة التي ضيّعوها وفرّطوا فيها.

---

(١) ولو كان ابنك أو خادمك أو مُوظَّفًا عندك.
(٢) المفهم ٢/ ٢٨٢.
(٣) (٨٣٠).

ومن عظيم أمرِ صلاة العصر: ثبوتُ الوعيد الشديد على مَن حلف كاذبًا بعدها: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** - وذكر منهم -: **وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ**». رواه مسلم[(١)].

يعني: أنَّه كذَبَ فزاد في الثَّمَنِ الذي به اشترَى، فكَذَبَ واستخَفَّ باسمِ الله تعالى حين حَلَفَ به على الكذب، وأخَذَ مالَ غيرِهِ ظُلْمًا؛ فقد جمع بين كبائر؛ فاستَحَقَّ هذا الوعيدَ الشديد.

وتخصيصُهُ بـ«ما بَعْدَ العَصْر»: يَدُلُّ على أنَّ لهذا الوقتِ من الفضلِ والحُرْمَةِ ما ليس لغيره مِنْ ساعات اليوم.

«وإنما كان ذلك؛ لأنَّه عَقِيبَ الصلاةِ الوُسْطَى، ولَمَّا كانتْ هذه الصلاةُ لها مِنَ الفضلِ وعظيمِ القَدْرِ أكثَرَ مما لغيرها، فينبغي لمصلِّيها أن يَظْهَرَ عليه عَقِيبَهَا من التحفُّظِ على دينه، والتحرُّزِ على إيمانِهِ أكثَرُ مما ينبغي له عَقِيبَ غيرها؛ لأنَّ الصلاةَ حَقُّهَا أن تَنْهَى عن الفحشاء والمنكر كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾؛ أي: تَحْمِلُ على الامتناع مِنْ ذلك، بما يحدُثُ في قلب المصلِّي بسببها من النُّورِ والانشراح، والخوفِ من الله تعالى والحياءِ منه»[(٢)].

وكلّ هذه الفضائل الكبيرة، والمزايا العظيمة للصلاة: تُحتم على كلّ مسلم أن يعتني بها، ويستعدّ لها، ويُوليها اهتمامًا بالغًا.

❁ ❁ ❁

---

(١) (١٠٨).
(٢) المفهم ١/ ٣٠٨.

السبب الثاني

أنْ يُوقن المصلي بأنه لا غنى له عنها ولا عن الله ﷻ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعْلَمْ أَنَّ فَقْرَ الْعَبْدِ[١] إلَى اللهِ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا: لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ فَيُقَاسُ بِهِ، لَكِنْ يُشْبِهُ مِن بَعْضِ الْوُجُوهِ حَاجَةَ الْجَسَدِ إلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَبَيْنَهُمَا فُرُوقٌ كَثِيرَةٌ». اهـ[٢].

فحاجتك إلى ربك وإلى عبادته أعظم من حَاجَةِ جَسَدِك إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فإنك إذا فقدت الطعام والشراب فغايةُ ما في الأمر موتُ جسدك، وإذا لم تمت اليوم مت غدًا، ولكنك إذا هجرت عبادة ربّك، فإنك ستعيش في دنياك في شقاء، «فالقلب لا يُفلح ولا يصلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يلتذّ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبِّه، والإنابةِ إليه، ولو حصل له جميعُ ما يلتذّ به من المخلوقات لم يطمئن إليها، ولم يسكن إليها؛ بل لا تزيده إلا فاقةً وقلقًا، حتى يظفر بما خُلق له، وهُيِّئَ له: من كون الله وحده نهايةَ مراده، وغايةَ مطالبه؛ فإن فيه فقرًا ذاتيًّا إلى ربه وإلهِه، من حيث هو معبودُه ومحبوبُه وإلهُه ومطلوبُه، كما أنَّ فيه فقرًا ذاتيًّا إليه من حيث هو ربُّه وخالقُه ورازقُه ومدبِّرُه»[٣].

---

(١) أي: حاجة العبد.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٢٠/١ ـ ٢٨.

(٣) إغاثة اللهفان لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١٩٨/٢.

قال أحدهم: تخيَّلت نفسي يومًا بلا صلاة! كيف سأعيش؟

فالصلاة بالنسبة للمسلم أهمّ من نفَسه ونَفْسِه، وأغلى من ماله وروحِه، فلو انقطع النَّفَس وفاضت الروح فسيخسر الدنيا فقط، وأما لو ترك الصلاة فإنه سيخسر الدنيا والآخرة، وأيّ خسارةٍ أعظم من خسارة جنةٍ عرضها السمٰوات والأرض؟ وأيّ خسارة أعظم من خسارتِه لنفسِه وأهلِه يوم القيامة؟ وصدق الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾.

فالْخَاسِرُ كُلَّ الْخُسْرَانِ: مَن خَسِر نفسه فلم يستمتع بها، ولم يُنَعِّمْها بأصناف النعيم في الجنة، ولم يستمتع بأهلِه وبالقربِ منهم، وبالحديث معهم، فأيّ خسارةٍ أعظم من هذه الخسارة؟

والصلاة راحةٌ عند ضيق الصدر، وانشراحٌ عند تكالُب الهموم والأحزان.

فقد أمر الله تعالى نبيّه عند ضيق صدره أن يفزع إلى الصلاة فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

وهي التي يفزع إليها المحتاجُ فتُقضى حاجتُه، والمريضُ فيُشفى مرضُه، والمصابُ فيزولُ مُصابُه، والعقيم فيهبُه الله ذُرِّيَّةً، والمهوم فينْجلي همُّه، والحزين فيزولُ حزنُه، والفتاةُ فيُسارع إليها الْخُطّاب، والمديون فيُسدِّد الله دينَه، والفقير فيغتني.

فهذا نَبِيُّ اللهِ زكريّا عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعا رَبَّهُ أنْ يهَب له مِنْ لَدُنْه ذُرِّيَّة طَيِّبَة، ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

وهذه سَارَةُ زوجةُ إِبْرَاهِيم ﷺ، كانا مُسافرين فدَخَلا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ ظالمٌ جبَّار، فطلبها منه، فأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَتَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ(١).

أي: ضاق نفسه وكاد يختنق، فحرك رِجْلَه وضربها على الأرض من شدّة الاختناق والألم.

وأعرف رجلًا أُصيب ابنُه الصغيرُ بمرضٍ مُفاجئ، فقالت زوجته وهي تبكي: لِنَذهب للمستشفى، فقال: سأذهب إلى ربي أولًا ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾، فقام يُصلي، والابن لا ينفك من البكاء الذي كاد يُقطع قلب أمّه قبل أنْ يُقطع قلبه هو، قال: فصليت صلاة لا أعرف أني صليت مثلها، حيث نزلت عليّ السكينة، وكنت خاشعًا فيها، باكيًا مُتضرّعًا، وقلت في دعائي: اللَّهُمَّ أنت أرحم بابني مني فارحمه واشفه، قال: والله ما إن دعوت الله بهذا الدعاء حتى سكت عن البكاء، وما إن انتهيت من الصلاة حتى نام نومةً هنيّة، وذهب ما ألَمَّ به.

وحدثني رجلٌ أُصيب بحادث شنيع كاد يُفارق بسببه الحياة، ومكث في العناية والمستشفى قرابة ثلاثة أشهر، وخرج منها مشلولًا في بعض أطرافه، لا يستطيع الوقوف ولا الحركة؛ بل كان مُمَدَّدًا على سريره، وقد قرّر الأطباء له عمليتين في فقرات ظهره، وقال له الطبيب: نخشى إن لم نُبادر في العملية أن يكون ذلك خطرًا عليك، قال: فرفضت ذلك، وقلت: سألجأ إلى الله تعالى، فكنت وأنا على السرير أصلي وأدعو

(١) رواه البخاري (٢٢١٧).

ربي، وما هي إلا أيام يسيرة حتى شعرت بقرب العافية، وبدأتُ أحرك أطرافي، وبعد أيام قمت من سريري أمشي، وكأني قمت من القبر، وبُعثت للحياة من جديد، فراجعت المستشفى فكانت المفاجأة: أنّ الفقرتين اللتين قرر الأطباء إجراء عمليّتين بهما قد رجعتا إلى حالتهما الطبيعية، ولم أحتج إلى عملية.

وهو الآن يصلي بالمسجد، ويمشي مشيًا يُقارب مشي الأصِحّاء والحمد لله.

والقصص في ذلك كثيرة لا تُحصى.

فالصلاةُ هي الأمانُ عند الخوف، والسَّكنُ عند اضطراب الأمور، فمن خاف ففزع إلى الصلاة أمِن وسكن قلبُه، ودَنَتْ ساعةُ فَرَجِه.

وهي التي يفزع إليها المذنبون، ويلجأ إليها المفرّطون، فتُمحى ذنوبهم، ويُعفى عن تفريطهم، فهذا نَبِيُّ اللهِ داوُدُ وصَفِيُّهُ عليه السلام لَمَّا أصابَ الْخَطِيئَةَ وأرَادَ التَّوْبَةَ لَمْ يَجِدْ لِتوْبَتِهِ مَفْزعًا إلَّا إلى الصَّلاةِ، قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: ٢٤].

وهي مفتاح باب الرزق الإيمانيّ والماليّ، قال الله جل وعلا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يَعْنِي إِذَا أَقَمْتَ الصَّلاةَ أَتاكَ الرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ، كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلَاقِ: ٢، ٣]». اهـ[(١)].

ومَن حافظ على الصلوات بأوقاتِها وأركانِها وخشوعِها: فقد

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ٣٢٧.

اتَّقَى الله تعالى حقَّ التقوى، ومِن اتقى الله ضمن له الكريم الوهَّاب أنْ يجعل له مخرجًا من كلّ ضيق، ورزقًا وغنى.

السبب الثالث

أنْ يتجمل لله تعالى فيها، فيلبس أحسن ثيابه، ويتطيب من أحسن طيبه، وقد قال المولى ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلِهَذِهِ الْآيَةِ، وَمَا وَرَدَ فِي مَعْنَاهَا مِنَ السُّنَّةِ، يُسْتَحَبُّ التَّجَمُّلُ عِنْدَ الصَّلَاةِ، وَلَا سِيَّمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْعِيدِ، وَالطِّيبُ لِأَنَّهُ مِنَ الزِّينَةِ، وَالسِّوَاكُ لِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ ذَلِكَ، وَمِنْ أَفْضَلِ الثِّيَابِ الْبَيَاضُ. اهـ[(١)].

وقد «أمر الله تعالى بقدر زائد على ستر العورة في الصلاة وهو أخذ الزينة، لا بستر العورة؛ إيذانًا بأنَّ العبد ينبغي له أن يلبس أزين ثيابه وأجملها في الصلاة، وكان لبعض السلف حلةٌ بمبلغٍ عظيم من المال، وكان يلبسها وقت الصلاة ويقول: ربي أحق مَن تجملت له في صلاتي.

ومعلوم أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب أنْ يَرَى أثر نعمته على عبده، لا سيما إذا وقف بين يديه، فأحسنُ ما وقف بين يديه بملابسه ونعمته التي ألبسه إياها ظاهرًا وباطنًا»[(٢)].

وهذا من تعظيم شعائِر الله، وقد قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٦.

(٢) المستدرك على فتاوى ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٣/ ٦٥.

فمن تطيَّب لصلاته، ولبس لها أحسن ثيابِه: فقد عظّم هذه الشعيرة، وهذا دليل جليٌّ على عِظَم تقوى الله تعالى في قلبه، وحبّه لربّه.

قال وكيع بن الجراح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها لم يكن وقّرها(١).

وكيف يطلب الإنسان من ربه الخيرات، والخشوع في الصلاة، وربّه يراه يتجمل عند لقاءِ غيرِه ما لا يتجمل عند لقائه، ويتطيَّب للناس ولا يتطيب له!

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لِغُلَامِهِ نَافِع لَمَّا رَآهُ يُصَلِّي حَاسِرًا عن رأسِه: أَرَأَيْت لَو خَرَجْت إِلَى النَّاسِ كُنْت تَخْرُجُ هَكَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَاللهُ أَحَقُّ مَن يُتَجَمَّلُ لَهُ.

وإنك ترى الكثير من الناس إذا صلى وحده أو مع أصدقائه صلى بقميصٍ أو بدون غترة، وإذا خرج إلى الناس لبس أحسن ثيابه!(٢)

وقد كان السلف الصالح يوقرون الصلاة ويستعدون لها أتم استعداد، فهذا تميم الداريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ اشترى رداءً بألف درهم، يخرجُ فيه إلى الصلاة.

وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا قام من الليل دعا بسواكه، ثم دعا بأطيب حلة، وكان لا يلبسها إلا إذا قام من الليل يتهجد.

(١) حياة السلف بين القول والعمل، ص٢١٩.

(٢) ولعله يُترخص في السفر ما لا يُترخص في الحضر، وذلك لما فيه من المشقة التي يُغتفر فيها أمورٌ شرعيّة، فغيرُها من باب أولى، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِن الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّات الرَّاتِبَةِ يَسْقُطُ بِالْعُذْرِ الْعَارِضِ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى لَا وَاجِبًا وَلَا مُسْتَحَبًّا، كَمَا سَقَطَ بِالسَّفَرِ وَالْمَرَضِ وَالْخَوْفِ كَثِيرٌ مِن الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّات. اهـ. [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٢٣/١٠٣].

وكان المغيرة بن حكيم رحمه الله إذا أراد أن يقوم للتهجد لبس من أحسن ثيابه وتناول من طيب أهله، وكان من المتهجدين.

وكان عمرو بن الأسود رحمه الله: يشتري الحلة بمائتين، ويصبغها بدينار، ويخمرها النهار كله، ويقوم فيها الليل كله[(١)].

فمِنْ مِنَّا اغتسل حينما تغيّرت رائحةُ بدنِه لأجل الصلاة ـ غير الجمعة ـ.

مِنْ مِنَّا تطيَّب من أحسن الطيب الذي عنده كلّما قام إلى صلاته.

مِنْ مِنَّا جعل أحسن ثيابِه لصلاته ولِقاء ربّه، لا لعمَلِه ومناسباتِه؟

ما أجمل أنْ نجعلَ الجمال لذي الجمال والجلال والكمال.

ما أجمل التعامل مع الله تعالى.

والله تعالى خلقنا عبيدًا له، وكلّما كنَّا في غاية العبودية والتذلل والانقياد والخضوع له: أعزَّنا وأكرمنا ورفعنا وأعطانا.

تجملنا كثيرًا للناس فبماذا نفعونا؟

بالغنا في صرف أوقاتِنا لهم فماذا أعطونا؟

اشترينا أجمل الأطياب لهم فبماذا كافؤونا؟

ووالله لو صرفنا ذلك لربّنا وحده ابْتغاء مرضاته وتعظيمًا وإجلالًا له: لنفعنا وأعطانا وكافأنا، وزادنا إيمانًا، وعلمًا، وعملًا، وأنسًا، وصلاحًا، وثباتًا، ورفعة.

وصدق الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾، فهو الشكور جل وعلا، «فإنه يُعطي العبد ويُوَفِّقه لِمَا يشكره عليه.

(١) حياة السلف بين القول والعمل، ص٢١٩.

ويشكر القليل من العمل والعطاء.

ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة.

ويشكر عبده بقوله بأن يُثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويُلقي له الشكر بين عباده.

ويشكره بفعله، فإذا ترك له شيئًا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئًا ردّه عليه أضعافًا مضاعفة.

وهو الذي وفّقه للترك والبذل، وشَكَره على هذا وذاك.

ولما عقَر نبيُّه سليمانُ عليه السلام الخيلَ غضبًا له، إذ شغلته عن ذكره، فأراد ألا تشغله مرة أخرى: أعاضَه عنها متن الريح.

ولَمَّا ترك الصحابةُ ديارَهم وخرجوا منها في مرضاته أعاضهم عنها أنْ ملّكهم الدُّنيا وفتحها عليهم.

ولَمَّا احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكّن له في الأرض يتبوَّأ منها حيث يشاء.

ولَمَّا بذل الشهداءُ أبدانهم له حتى مزَّقها أعداؤه: شَكَر لهم ذلك بأنْ أعاضهم منها طيرًا خضرًا أقرَّ أرواحَهم فيها، تَرِدُ أنهار الجنة، وتأكلُ مِن ثمارها إلى يوم البعث، فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه.

ولَمَّا بذل رسلُه أعراضَهم فيه لأعدائهم فنالوا منهم وسبُّوهم: أعاضهم من ذلك بأن صلّى عليهم هو وملائكتُه، وجعل لهم أطيب الثناء في سماواته وبين خلقه، فأخلصهم بخالصةٍ ذكرى الدار.

ومِن شكره سبحانه: أنه يُجَازِي عدوَّه بما يفعله من الخير

والمعروف في الدنيا، ويخفف به عنه يوم القيامة فلا يضيع عليه ما يعمله من الإحسان، وهو من أبغض خلقه إليه.

ومِن شكره: أنه غفر للمرأة البغيّ بسقيها كلبًا كان قد جهده العطش حتى أكل الثَّرى.

وغفر لآخَرَ بتَنْحيته غصن شوكٍ عن طريق المسلمين.

فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه لنفسه، والمخلوقُ إنما يشكر مَن أحسن إليه.

وأبلغ من ذلك: أنه سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يُحسِن به إلى نفسه، وشَكَره على قليله بالأضعاف المضاعفة، التي لا نسبة لإحسان العبد إليها، فهو المحسن بإعطاء الإحسان، وإعطاء الشكر، فمَن أحقّ باسم الشكور منه سبحانه؟

ومِن شكرِه سبحانه: أنه يخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرة من خير، ولا يُضِيعُ عليه هذا القدر.

ومِن شكره سبحانه: أنَّ العبد مِن عباده يقوم له مقامًا يرضيه بين الناس فيشكره له، ويُنَوِّه بذكره، ويُخبر به ملائكتَه وعبادَه المؤمنين، كما شكر لمؤمن آل فرعون ذلك المقام، وأثنى به عليه، ونوَّه بذكره بين عباده.

وكذلك شكرُه لصاحب يس مقامه ودعوته إليه.

فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته إلا هالك، فإنه سبحانه غفور شكور، يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل.

ولَمَّا كان سبحانه هو الشكورَ على الحقيقة: كان أحبّ خلقه إليه

من اتَّصف بصفة الشكر، كما أنَّ أبغضَ خلقِه إليه مَن عطَّلها واتَّصف بضدِّها، وهذا شأن أسمائه الحسنى، أحبُّ خلقه إليه من اتَّصف بموجبها، وأبغضُهم إليه مَن اتَّصف بأضدادِها»(١).

فتجمّل لله تعالى في صلاتِك، وتطيّب قبل لقاءِ ربّك، وإذا شعرت بتغيّر رائحة جسمك من العرق أو غيرِه فاغتسل، وليس ذلك بكثير على الله تعالى، ونحن نغتسل في كثيرٍ مِن المناسبات لأجل مقابلةِ مخلوقين لا ينفعون ولا يضرّون، والله تعالى أحقّ أن نستعدّ له ونظف أبداننا لأجله.

وكلّ من تجمّلت لهم من مسؤولين وغيرهم لن ينظروا إلى ملابسك، ولن يلفت نظرَهم رائحتك الزكية، ولو حصل ذلك فإنهم سينسون بعد لحظات أو أيام، وربما لن تُقابلهم مرة أخرى، ولكنّ الله العظيم الكريم الجميل سبحانه سينظر إلى قلبك الذي نَبَضَ بحبّه وتعظيمِه فجعلك تلبس أحسن الثياب؛ لأجلِه، وتتطيَّب؛ حبًّا له، وتغتسل ـ حينما تتغيّر رائحة بدنك ـ؛ إجلالًا له، وهيبةً منه، وتستاك؛ اتباعًا لسُّنّة نبيّه ـ عليه أفضل الصلاة وأتَمُّ التَّسليم ـ وتطهيرًا للفم الذي يتلو كلام الباري ﷻ.

وليس في الوجود شيءٌ أجلّ وأعلى وأشرف وأكمل مِن خالق الأشياء كلها، ومُكملها ومُزيّنها، ومُبدئها ومُعيدها، ونُورها ومُنوّرها، فكيف نتجمَّل لغيرِه، ونُعظّم أحدًا سواه؟

وأدوات الجمال والزينةِ التي نتزيّن بها للمخلوقِ إنما هي مِن الله ﷻ، فكيف نصرف ما أعطانا إلى غيرِه، ونبخلُ بها عليه سبحانه؟

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، ص٢٤٠ ـ ٢٤١.

ولقد أعطانا مِن المال والخيرات ما لا يُحصى، فمِن شكرنا لهذه النعم، وتعظيمِنا لخالقنا أنْ نشتري بشيءٍ من أموالنِا طِيبًا نجعله معنا نتطيَّب به عند كلّ صلاة، وسواكًا نُطيِّب ونُطهِّر أفواهنا إذا وقفنا بين يديه.

والطيب لا تتجاوز قيمتُه مائة ريال، ولو تطيبت منه في كلّ صلاة لَمكث عندك قرابة سنة كاملة أو نصف سنة، ومجموعةٌ من السواك لا تتجاوز قيمتها مائة ريال كذلك، وتمكث عندك ـ إذا وضعتها في الثلاجة وحفظتها في وعاء ـ قرابةَ سنةٍ أو نصفِها، فهل تستكثر على من أغْدق عليك النِّعَم والخيرات مائتا ريال في العام أو نصفِ العام؟

وقد كان النبي ﷺ من شدَّةِ اعتنائه ومحبته للطيب: يستعمله حتى في شعره.

فقد روى البخاري في «صحيحه»[(١)] عن رَبيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قال: رَأَيْتُ شَعَرًا مِنْ شَعَرِهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ، فَسَأَلْتُ عن سبب ذلك فَقِيلَ: احْمَرَّ مِنْ الطِّيبِ.

❁ ❁ ❁

(١) (٣٥٤٧).

السبب الرابع

أن يتّصف المسلم بالذل والسَّكينة لله تعالى، وهذا هو الخشوع والإخبات، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾، «وَهُمُ الْمُنْكَسِرَةُ قُلُوبُهُمْ إِجْلَالًا لله، وَرَهْبَةً مِنْهُ»[(١)].

فقد أمر الله تعالى عَبِيدَهُ فِيمَا يُؤَمِّلُونَ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، ثم ذكر أنّ هذه الْوَصِيَّة شاقّةٌ وصعبةٌ إلا عَلَى الْخَاشِعِينَ.

فمن ابتلي بأيّ أمرٍ، أو أراد بلوغ أيّ أمرٍ من أمور الدنيا أو الآخرة: فعليه أن يستعين على ذلك بالصبر والصلاة، ولن يستطيع ذلك إلا إذا كان من أهل الخشوع.

وقد روى الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا نُعِي إليه أخوه، وهو في سفر، فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ

(١) تعظيم قدر الصلاة، لأبي عبد الله محمد بن نصر المَرْوَزِي (المتوفى ٢٩٤هـ)، ص٢١٨.

(٢) تفسير الطبري ١/ ١٤.

عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الحج: ٣٤ـ ٣٥].

وَالْخَبْتُ: مَا انْخَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ.

فالْمُخْبِتونَ: هم المتواضعون والْمُستكينون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، الرقيقةُ قلوبهم، الذين لا ينتقمون لأنفسهم؛ لأنهم باعوها لله تعالى.

ومن أعظم صفات عباد الله المخبتين الخاشعين: أنّ قلوبهم توجل وتخاف إذا سمعت آيات الله تعالى، ويَدْعوهم ذلك إلى تعظيم الله تعالى، وفعلِ أوامرِه، وتركِ نواهيه، والمسارعةِ إلى كلّ ما يُرضيه.

فإذا شعرتَ بالوجل إذا قرأت القرآن في صلاتك أو سمعته مِن إمامك، ودَخَلَتِ الآياتُ سويداءَ قلبك، ولَاقَتْ عندك قبولًا وتعظيمًا وحضور قلب: فهذه بشرى لك، فهي من صفاتِ عباد الله المخبتين الخاشعين، وإن لم تشعر بذلك: فجدّد توبتك وعلاقتك مع الله جَلَّ وَعَلَا، وحاسب نفسك قبل أن تُحاسب.

❁ ❁ ❁

السبب الخامس
أصْلِحْ قلبَك: تصْلُح لك صلاتُك

إنّ كلّ من أراد صلاح عملِه: فلْيبدأ بصلاح نيّتِه وقلبِه، فصلاح القلب هو الأصل لصلاح الجوارح والأعمال، قال رَسُول اللهِ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ». متفق عليه(١)

«فَمَنْ صَلَحَ قَلْبُهُ صَلَحَ جَسَدُهُ قَطْعًا بِخِلَافِ الْعَكْسِ»(٢).

ومن كان كذلك: ذاق طعم الإيمان، ومن ذاق طعم الإيمان: تلذذ بإخلاص العمل لله، وعبادته والقرب منه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ الْقَلْبَ إِذَا ذَاقَ طَعْمَ عِبَادَةِ اللهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ: لَمْ يَكُن عِنْدَهُ شَيْءٌ قَطُّ أَحْلَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَلَذَّ وَلَا أَطْيَبَ.اهـ(٣).

ففتِّشْ عن أمراض قلبك وأزلها منه؛ لتذوق طعم الإيمان، وتتلذّذ بالوقوف بين يدي الكريم المنان.

«وَلَنْ يَنْمُوَ الْخَيْرُ إِلَّا بِتَرْكِ الشَّرِّ، وَالزَّرْعُ لَا يَزْكُو حَتَّى يُزَالَ عَنْهُ الدَّغَلُ، فَكَذَلِكَ النَّفْسُ وَالْأَعْمَالُ لَا تَزْكُو حَتَّى يُزَالَ عَنْهَا مَا يُنَاقِضُهَا،

---

(١) البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٧/ ٩.
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ١٠/ ١٨٨.

وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مُتَزَكِّيًا إِلَّا مَعَ تَرْكِ الشَّرِّ، فَإِنَّهُ يُدَنِّسُ النَّفْسَ وَيُدَسِّيهَا»[(١)].

«وَلِهَذَا قِيلَ: تَخْلِيصُ الْأَعْمَالِ مِمَّا يُفْسِدُهَا أَشَدُّ عَلَى الْعَامِلِينَ مِن طُولِ الِاجْتِهَادِ»[(٢)].

والله تعالى قدَّم في كتابه الإيمان وأعمالَ القلوب، على أعمال الجوارح، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

وقد تكرر في القرآن في عشرات المواضع قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

ففي هذه المواضع وغيرها قدَّم الله تعالى أعمال القلوب على أعمال الجوارح، وما ذاك إلا لأهميّتها ووجوبِ العناية بها.

فما بال الكثير منَّا يُقَدِّم ما أخره الله؟ ويُؤخر ما قدمه؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ الْأَعْمَالَ لَا تَتَفَاضَلُ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١٠/ ٦٢٨.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١١/ ٦٨٨.

بِالْكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِمَا يَحْصُلُ فِي الْقُلُوبِ حَالَ الْعَمَلِ»[١].

ومن أبلغ ما قيل عن أهمية النية وتصحيحها قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ النِّيَّةَ لِلْعَمَلِ كَالرُّوحِ لِلْجَسَدِ». اهـ[٢].

فكما أنّ الجسد لا يصلح ولا يُنتفع به بلا روح، فكذلك العمل لا يصلح ولا يُنتفع به بلا نيّة صالحة صادقة.

❁ ❁ ❁

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٥/ ٢٨٢.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٨/ ٢٩١.

السبب السادس
الِاجْتِهَادُ فِي دَفْعِ مَا يُشْغِلُ الْقَلْبَ

لا بد لك ـ أخي المصلي ـ أن تبذل قُصارى جهدك، وغاية وسعك في دفع ما يُشْغِلُ قَلْبَك من التفكر فيما لا يعنيك، وما يعترضُك في حياتك من مشاكل في البيت أو العمل.

واعلمْ أنّ كثرة الوسواس الذي يصرفك عن خشوعك في صلاتك يأتي مِن أحدِ الأمور الأربعة التالية:

الأمر الأول: كثرةُ الشُّبهات التي تُعكّر صفو ذهنك، وتُخلّ بتفكيرك.

الأمر الثاني: كثرةُ الشهوات التي تسلُب لُبّك وعقلك، وتشغل قلبك أيّما إشغال، فمَن كان كثير النظر إلى النساء المتبرجات، أو كثير الاستماع إلى الغناء أو النشيد الذي يُهيّج الوجدان والعواطف: كيف سيصفو له قلبُه في صلاته، وقد سلَبَتْه تلك الصور والأصوات؟

الأمر الثالث: تعلُّق القلب بالمحبوبات التي ينصرف القلب إلى طلبها، مِن مالٍ أو متاع أو زوجة ونحوها من محبوبات الدنيا.

الأمر الرابع: تعلُّق القلب بالمكروهات التي ينصرف القلب إلى دفعها، من دَينٍ أو قلّة مالٍ ونحو ذلك.

«فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثْبُتَ وَيَصْبِرَ وَيُلَازِمَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ

وَلَا يَضْجَرُ، فَإِنَّهُ بِمُلَازَمَةِ ذَلِكَ يَنْصَرِفُ عَنْهُ كَيْدُ الشَّيْطَانِ ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾.

وَكُلَّمَا أَرَادَ الْعَبْدُ تَوَجُّهًا إِلَى اللهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ جَاءَ مِن الْوَسْوَاسِ أُمُورٌ أُخْرَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ بِمَنْزِلَةِ قَاطِعِ الطَّرِيقِ، كُلَّمَا أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَرَادَ قَطْعَ الطَّرِيقِ عَلَيْهِ»(١).

ومِن أعظم مَا يُشْغِلُ الْقَلْبَ في هذا الزمان: الجوال! فتجد بعض الناس لا يُغلق جواله أثناء الصلاة، ولا يكتم صوته، فيُشغل نفسه وغيره إذا جاءته مُكالمة أو رسالة.

ومَن عظّم مَن يقف بين يديه، وعظَّم قدر هذه العبادة: فلن يفعل ذلك أبدًا، ووالله لو أراد الدخول على أحد الملوك أو الأمراء لأغلق جواله أو كتم صوته؛ لأنه يعلم أنّ هذا هو الأدب معهم.

أوليس الله تعالى أحقّ بأنْ يُتأدّب معه؟

بلى والله، فتأدّب أخي مع ربّنا ـ جلّ جلالُه، وتقدّست أسماؤه ـ حين تقف بين يديه في صلاةِ الفرض والنفل، وأتقِنْ أداءها، أقمْها كما أُمرت، فإنها رأسُ مالك، ومكسبُك ونورُك في الدنيا والآخرة، وهنيئًا لك ثم هنيئًا إنْ صارت هذه الصلاةُ أكبرَ همّك، فستجد فيها الراحةَ والأمان، وتُورثك البركة والقوة والنشاط.

❁ ❁ ❁

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢٢/ ٦٠٥ ـ ٦٠٩.

السبب السابع
التبكير إليها

من أحبّ شيئًا بادر إليه، ومن اشتاق إلى محبوبٍ سارع إليه، فهذا نبيُّ الله وكَلِيمه مُوسَى ﷺ قال لربّه تَعَالَى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝٨٤﴾ [طه: ٨٤].

«فَكَنَّى عَنْ ذِكْرِ الشَّوْقِ وَصِدْقِهِ إِلَى ابْتِغَاءِ الرِّضَا»[١].

«وهذه الآيات تقتضي أنَّ المسارعةَ إلى الخيراتِ مأمورٌ بها، وأنَّ فاعلها مستوجبٌ لثناء الله ورضوانه، وذلك يقتضي الاستباق إلى الخيرات، وإلى أسباب المغفرة، أمرًا بها وثناء على أهلها وتفضيلًا لهم على غيرهم، والصلاة من أفضل الخيرات، وأعظم أسباب المغفرة»[٢].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَظَاهِرُ الْآيَةِ: أَنَّ الْحَامِلَ لِمُوسَى عَلَى الْعَجَلَةِ: هُوَ طَلَبُ رِضَا رَبِّهِ، وَأَنَّ رِضَاهُ فِي الْمُبَادَرَةِ إِلَى أَوَامِرِهِ، وَالْعَجَلَةِ إِلَيْهَا؛ وَلِهَذَا احْتَجَّ السَّلَفُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ أَفْضَلُ، سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ يَذْكُرُ ذَلِكَ، قَالَ: إِنَّ رِضَا الرَّبِّ فِي الْعَجَلَةِ إِلَى أَوَامِرِهِ». اهـ[٣].

---

(١) تفسير القرطبي ١١/ ٢٣٣.
(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية ١/ ١٩١.
(٣) مدراج السالكين ٣/ ٦٠.

فيا من تطلب رضا ربّك ومغفرتَه ورحمتَه بادرْ إلى أعظم فريضةٍ فرضها عليك، وإلى أحبّ الأعمال إليه، من حين سماعك النداء الذي يدعوك إلى بيت الله.

وكيف ترجو الخشوع والطمأنينة في صلاتك وأنت تُصارعُ أنْفَاسَك إذا جئت إليها، وتجرُّ نَفْسَك إلى الصلاة جرًّا، ولم تَسُقْك إليها شوقًا ولَهَفًا.

وقد جاء رَسُولُ اللهِ ﷺ مرةً إلى المسجد، فرَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا فَقَالَ لَهُمْ: «**تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**»[(١)].

أي: «عَنْ رَحْمَتِهِ، أَوْ عَظِيمِ فَضْلِهِ وَرَفْعِ الْمَنْزِلَةِ وَعَنِ الْعِلْمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ»[(٢)].

وإنَّ مما يُحزن: التأخر في الحضور للصلاة، فكم همُ الذين لا يأتون إليها إلا مع الإقامة، والواحد منهم يندرُ أنْ يتأخر عن دوامه واجتماعاتِه، وقد كان السلف الصالحُ يُسابقون الْمُؤذن إلى المسجد.

فهذا الأعمش رَحِمَهُ اللهُ، لم تفته التكبيرة الأولى قريبًا من سبعين سنة.

وهذا سعيد بن الـمُسيِّب رَحِمَهُ اللهُ ما أذَّن المؤذن منذ ثلاثين سنةً إلا وهو في المسجد.

وكان بعضُهم إذا فاتَتْهُ صلاةُ الجماعة بكى.

وقال وكيع بن الجراح رَحِمَهُ اللهُ: من تهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يديْك منه[(٣)].

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه مسلم (٤٣٨).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٤/ ١٥٩.
(٣) حياة السلف بين القول والعمل ١٩٨.

السبب الثامن

الإتيانُ بأنواع الأذكارِ والأدعية الواردة في الصلاة، والتي سيأتي ذكرها في موضعها بإذن الله تعالى.

فهناك عدّة صيغ لدعاء الاستفتاح والركوع والرفع منه والسجود والتشهد والصلاة على النبي ﷺ، وينبغي في كلّ صلاة اختيار أحد هذه الصيغ.

«وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْمُكَلَّفُ أَنْ يَجْمَعَ فِي الْعِبَادَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ فِي الْوَقْتِ الْوَاحِدِ، وَإِن فَعَلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ كَانَ ذَلِكَ مَنْهِيًّا عَنْهُ؛ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ سُنَّةً؛ بَل خِلَافُ الْمَسْنُونِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ جَمِيعَهُ جَمِيعًا، وَإِنَّمَا كَانَ يَقُولُ هَذَا تَارَةً وَهَذَا تَارَةً»(١).

وفي ذلك فوائد كثيرة جدًّا، منها:

أولًا: أنَّ هَذا هُوَ اتِّباعُ السُّنَّةِ، فمن تمام الاقتداء بالنبي ﷺ أنْ نفعل كما فعل، ونأتي بجميع الوجوه التي كان يأتي بها.

ثانيًا: «أَنَّ ذَلِكَ يُخْرِجُ الْجَائِزَ الْمَسْنُونَ عَن أَنْ يُشَبَّهَ بِالْوَاجِبِ، فَإِنَّ الْمُدَاوَمَةَ عَلَى الْمُسْتَحَبِّ أَو الْجَائِزِ مُشَبَّهَةٌ بِالْوَاجِبِ.

وَلِهَذَا أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُدَاوِمِينَ عَلَى بَعْضِ الْأَنْوَاعِ الْجَائِزَةِ أَو

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٢٤/ ٢٤٣.

الْمُسْتَحَبَّةِ لَو انْتَقَلَ عَنْهُ لَنَفَرَ عَنْهُ قَلْبُهُ وَقَلْبُ غَيْرِهِ: أَكْثَرُ مِمَّا يَنْفِرُ عَن تَرْكِ كَثِيرٍ مِن الْوَاجِبَاتِ؛ لِأَجْلِ الْعَادَةِ الَّتِي جَعَلَت الْجَائِزَ كَالْوَاجِبِ.

ثالثًا: أَنَّ فِي ذَلِكَ تَحْصِيلَ مَصْلَحَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِن تِلْكَ الْأَنْوَاعِ، فَإِنَّ كُلَّ نَوْعٍ لَا بُدَّ لَهُ مِن خَاصَّةٍ.

رابعًا: أَنَّ فِي الْمُدَاوَمَةِ عَلَى نَوْعٍ دُونَ غَيْرِهِ: هِجْرَانًا لِبَعْضِ الْمَشْرُوعِ، وَذَلِكَ سَبَبٌ لِنِسْيَانِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ، حَتَّى يُعْتَقَدَ أَنَّهُ لَيْسَ مِن الدِّينِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ فِي نُفُوسِ كَثِيرٍ مِن الْعَامَّةِ أَنَّهُ لَيْسَ مِن الدِّينِ»(١).

خامسًا: أنّ في التنويع تنشيطَ النفس على العبادة والتدبرِ وحضورِ الذهن، «لأن الإنسان إذا التزم شيئًا معيَّنًا صار عادةً له، حتى إنه لو كَبَّر تكبيرةَ الإِحرام وغَفَلَ ومِن عادته أن يستفتح بـ«سُبحانكَ اللَّهُمَّ وبحمدِك» يَجِدُ نفسَه قد شَرَعَ فيه بدون قصد»(٢).

وهنا أتساءَل: ألست ـ أخي المؤمن المصلي المحب لربك ودينك ـ تُحبّ التغيير في حياتك؟

نعم بلا شكّ، فإنك تُغير من نمط حياتك وبيئتك، حيث تغيّر مكانك الذي تجلس أو تتنزه فيه، وتُغيّر وتبدّل في سيارتك أو بيتك أو مظهرك وملبسك؛ وذلك لأنّ مِن طبيعة البشر المللَ من الشيء الذي على وتيرة واحدة غالبًا، ولِطرد هذا الملل يلجؤون إلى التغيير والتنويع.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٤/٢٤٨ ـ ٢٤٨.
فالواجب على طلاب العلم ـ خاصة ـ أنْ يحرصوا على تطبيق السنن الواردة عن النبي ﷺ حتى لا تُهجر، ويُعلِّموا الناس قولًا وعملًا أنواع العبادات والطاعات.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ ٣/٤٨.

وإذا كان الأمر كذلك: فالصلاة أحقّ وأوجب وأولى بأن تفعل كلّ سبب لزيادة حبك فيها، وتعلّقك بها.

وتغييرُ النمط الذي اعتدته في صلاتك يزيدك نشاطًا ورغبةً بها.

فاحرص على التغيير والتنويع كي تُجدد الرغبة والنشاط والخشوع في هذه العبادة العظيمة، لا سيما والبدائل سهلةٌ جدًّا، وفيها مصلحة لك في دينك ودنياك كما تقدّم، فلا تتردّد أبدًا في تعلّم الصّيغ الواردة في الذكر والدعاء، والتي ستجدها في موضعها بإذن الله تعالى.

❁ ❁ ❁

السبب التاسع
سؤال الله تعالى إقامةَ الصلاةِ والخشوعَ فيها

إنه ما مِن طاعةٍ وأعمالٍ صالحةٍ إلا ودعاء الله ﷻ مِن أعظمِ أسبابِ التوفيق لها، والإعانةِ عليها.

فإذا أردت ـ أخي الكريم ـ أنْ تُقيم صلاتك كما أمرك ربُّك، وأنْ تخشع فيها وتتلذّذ بها: فألحّ على الكريم الجواد سبحانه أنْ يُوفق لذلك، وادع بما كان يدعو به نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، وقل صادقًا ودائمًا قُبَيْل الصلاة: اللَّهُمَّ فَرِّغ قَلْبي لك، وتَذَكر الجائزة الكبرى: «**إلا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**».

وأَلِحَّ على ربِّك: أنْ يُعِينك عَلَى ذِكْرِه، وَشُكْرِه، وَحُسْنِ عِبَادَتِه.

ومن أهمّه شيءٌ أكثر من تذكّره والتضرُّع إلى الله تعالى بأنْ يوفّقه للحصول عليه، وحينما كان للصلاةِ القدرُ العظيمُ في نفوس أنبياء الله عليهم السلام أكثروا من ذكرِها وتوصيةِ أبنائِهم وأقوامِهم بها، وأكثروا مِن دعاء الله أنْ يُعينهم على إقامتها.

السبب العاشر

أنْ يتفكر في كلّ ذكر وآية وركن من أركان الصلاة

إنَّ الرجلين ليصليان في صف واحد، مقتديين بإمام واحد، يكون بين صلاتَيْهما كما بين المشرق والمغرب؛ لأنَّ أحدهما قلبُه غافلٌ غيرُ خاشع، مُتعلّق بالدنيا ويُفكر بها، والآخر قلبُه متعلق بالله تعالى والدار الآخرة، منشغل بتدبر الآيات، مُتفكر بمقصود الصلاة.

ولِهذَا قال مَنْ قال مِن السّلف الصالح عن الْمُصلِّي كثيرِ العَبثِ: لَوْ خَشعَ قَلْبُ هذا لَخَشَعَتْ جَوارِحُهُ.

واعلم أنَّ «قِرَاءَةَ آيَةٍ وَاحِدَةٍ مَعَ التَّدَبُّرِ وَالْخُشُوعِ، خَيْرٌ لَنا مِنْ قِرَاءَةِ خَتْمَةٍ مَعَ الْغَفْلَةِ»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: القراءة القليلة بتفكر أفضل من الكثيرة بلا تفكر، وهو المنصوص عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم صريحًا.اهـ[(٢)].

فمن أراد أنْ يخشع في صلاته، ويذوقَ حلاوتها ولذّة مُناجاة الله تعالى: فلا بدّ «أَنْ يَعْقِلَ مَا يَقُولُهُ وَيفْعَلُهُ، وَيَتَدَبَّرَ الْقِرَاءَةَ وَالذِّكْرَ وَالدُّعَاءَ، وَيَسْتَحْضِرَ أَنَّهُ مُنَاجٍ للهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنَّ الْمُصلِّي إذَا كَانَ قَائِمًا فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ.

وَالْإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّك تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يرَاك.

---

(١) تفسير المنار ١/ ١٢٠.

(٢) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٣/ ٨٢.

ثُمَّ كُلَّمَا ذَاقَ الْعَبْدُ حَلَاوَةَ الصَّلَاةِ: كَانَ انْجِذَابُهُ إِلَيْهَا أَوْكَدَ، وَهَذَا يَكُونُ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ.

وَيَقْوَى ذَلِكَ كُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ تَدَبُّرًا لِلْقُرْآنِ، وَفَهْمًا وَمَعْرِفَةً بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَتَفَقُّرِهِ إِلَيْهِ فِي عِبَادَتِهِ، وَاشْتِغَالِهِ بِهِ، بِحَيْثُ يَجِدُ اضْطِرَارَهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ تَعَالَى مَعْبُودَهُ وَمُسْتَغَاثَهُ أَعْظَمَ مِن اضْطِرَارِهِ إِلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ»[(١)].

وسأبسط القول في هذا السبب، فهو من أهم وأعظم الأسباب.

❁ ❁ ❁

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢٢/٦٠٣ ـ ٦٠٩.

إجابة المؤذن، والإتيان بالسنن القوليّة بعد الأذان

إذا سمعت ـ أخي المسلم ـ الأذان فقل كما يقول المؤذن، سوى الحيعلتين (حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح)، فقل مكانهما: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وتفكّر في الأذان وكلماتِه، وخاصة حينما تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله حينما يقول المؤذن: حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح، فإنك تطلب من الله تعالى العونَ والقوّةَ والتَّحولَ من حالك إلى حالٍ أحسن وأكمل.

«فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ كَلِمَةُ اسْتِعَانَةٍ، لَا كَلِمَةُ اسْتِرْجَاعٍ، وَكَثِيرٌ مِن النَّاسِ يَقُولُهَا عِنْدَ الْمَصَائِبِ بِمَنْزِلَةِ الِاسْتِرْجَاعِ، وَيَقُولُهَا جَزَعًا لَا صَبْرًا»(١).

ولْينطق قلبك بالترديد قبل لسانك، فأجرك وصلاح أعمالك وعلوّ همتك على حسب صلاح قلبِك، وتواطُئِه مع لسانِك، وقد ثبت في «صحيح مسلم»(٢) عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى**

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ١٠/ ٦٨٧.
(٢) (٣٨٥).

الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

تأمَّل قولَه: «مِنْ قَلْبِهِ»؛ أي: أنّ الوعد بدخول الجنة لمن يردد مع المؤذن مشروطٌ بأنْ يُردد قلبُه مع لسانِه تكبيرَ الله وتوحيدَه والاستعانَة به وحده، فيزداد إيمانًا وانشراحًا وحبًّا لله تعالى، ولا يكون قلبُه غافلًا ساهيًا.

فكلمات الأذان تشتمل على تَوْحِيدِ الله تَعالَى، وَالثَّناء عليه، وَالانْقِياد لِطاعتِهِ، وتَفْويضِ جميع الأمور إِلَيْهِ.

فمنْ حصلَ له هذَا: فقَدْ حاز حقِيقةَ الْإِيمانِ، وكمَالَ الْإِسلامِ، واسْتحقَّ الْجنَّةَ بِفَضْلِ اللهِ تَعالَى.

فهل يذوق هذه المعاني من لم ينطق بها من قلبِه؟

ثم قل بعد ذلك بصدقٍ وإخلاصٍ: «اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ»(١).

والْوَسِيلَةُ: مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، قال النبيّ ﷺ: «**لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»(٢).

وأما الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللهُ تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾، فهو شفاعته لأهل الموقف يوم القيامة، قال ﷺ: «**أَنَا**

(١) رواه البخاري (٦١٤).

(٢) رواه مسلم (٣٨٤).

سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ونُوحًا وإِبْرَاهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وكلهم يقول: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، فَيَأْتُونَ إلى إمام النبيين، وخاتَمَ المرسلين، نبيّنا مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فيقول: أنا لها أنا لها، قال: فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ[(١)].

فيأذن الله تعالى بالحساب ومُجازاةِ العباد، فتنفرج كربة الموقف.

ثم قل: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا».

قال النبيّ ﷺ في حقّ مَنْ قَالَ ذلك: «غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»[(٢)].

من حين ما تقول هذه الشهادة بصدق وإيمان، وترضى بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا: يَغفر الله الكريم والرحيم لك ذنوبك!

(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).
(٢) رواه مسلم (٣٨٦).

وهذا من المواضع التي تُغفر فيها الذنوب، وستأتي مواضع أخرى، فإن أخطأك مواضع منها: فاحذر أنْ تُخْطئك المواضع الآخر؛ فالمحروم من هُيئت له أسباب المغفرة والرحمة فلم يسلك سُبُلها، ولم يتخذ أسبابها.

وتأمل كثيرًا في قوله: «**رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا**»، إنها تحمل في طياتها المعاني الكثيرة، ولذلك جاءت الأحاديث الصحيحة في الثناء على قائلها، ففِي «صَحِيح مُسْلِمٍ»(١) عَن أَبِي سَعِيدٍ الخدري أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَا أَبَا سَعِيدٍ مَن رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّد نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**».

فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَفَعَلَ.

وحُق له رضي الله عنه أن يعجب من سهولة هذا العمل الذي من عمل به أوجب الله له الجنة، وضمنها له.

وَقَالَ ﷺ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَن رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّد نَبِيًّا**»(٢).

وإذا أردت أنْ تعرف مكانتها فاعرف معناها وما تتضمنه، وقد بيّن ذلك أحسن بيان الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله فقال: تَضَمَّنت الرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَالرِّضَا بِرَسُولِهِ، وَالِانْقِيَادَ لَهُ، وَالرِّضَا بِدِينِهِ، وَالتَّسْلِيمَ لَهُ.

وَمَنِ اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ: فَهُوَ الصِّدِّيقُ حَقًّا.

وَهِيَ سَهْلَةٌ بِالدَّعْوَى وَاللِّسَانِ، وَهِيَ مِنْ أَصْعَبِ الْأُمُورِ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ

(١) (١٨٨٤).

(٢) رواه مسلم (٣٤).

وَالامْتِحَانِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَاءَ مَا يُخَالِفُ هَوى النَّفْسِ وَمُرَادَهَا مِنْ ذَلِكَ، تَبَيَّنَ أَنَّ الرِّضَا كَانَ لِسَانُهُ بِهِ نَاطِقًا، فَهُوَ عَلَى لِسَانِهِ لَا عَلَى حَالِهِ.

فَالرِّضَا بِإِلٰهِيَّتِهِ: يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِمَحَبَّتِهِ وَحْدَهُ، وَخَوْفِهِ، وَرَجَائِهِ، وَالْإِنَابَة إِلَيْهِ، وَالتَّبَتُّل إِلَيْهِ، وَانْجِذَاب قُوَى الْإِرَادَةِ وَالْحُبِّ كُلِّهَا إِلَيْهِ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ عِبَادَتَهُ وَالْإِخْلَاص لَهُ.

وَالرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ: يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِتَدْبِيرِهِ لِعَبْدِهِ، وَيَتَضَمَّنُ إِفْرَادَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالثِّقَةِ بِهِ، وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ بِهِ.

فَالْأَوَّلُ: يَتَضَمَّنُ رِضَاهُ بِمَا يُؤْمَرُ بِهِ، **وَالثَّانِي**: يَتَضَمَّنُ رِضَاهُ بِمَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِنَبِيِّهِ رَسُولًا: فَيَتَضَمَّنُ كَمَالَ الانْقِيَادِ لَهُ، وَالتَّسْلِيمَ الْمُطْلَقَ إِلَيْهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، فَلَا يَتَلَقَّى الْهُدَى إِلَّا مِنْ مَوَاقِعِ كَلِمَاتِهِ، وَلَا يُحَاكِمُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَلَا يَرْضَى بِحُكْمِ غَيْرِهِ الْبَتَّةَ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِدِينِهِ: فَإِذَا قَالَ، أَوْ حَكَمَ، أَوْ أَمَرَ، أَوْ نَهَى: رَضِيَ كُلَّ الرِّضَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنْ حُكْمِهِ، وَسَلَّمَ لَهُ تَسْلِيمًا، وَلَوْ كَانَ مُخَالِفًا لِمُرَادِ نَفْسِهِ أَوْ هَوَاهَا، أَوْ قَوْلِ مُقَلِّدِهِ وَشَيْخِهِ وَطَائِفَتِهِ.

وَهَاهُنَا يُوحِشُكَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا الْغُرَبَاءَ فِي الْعَالَمِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَوْحِشَ مِنَ الاغْتِرَابِ وَالتَّفَرُّدِ، فَإِنَّهُ وَاللهِ عَيْنُ الْعِزَّةِ، وَالصُّحْبَةُ مَعَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَرُوحُ الْأُنْسِ بِهِ.اهـ[١].

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٧١ ـ ١٧٢.

ثُمَّ صَلِّ عَلَيه، قال النبيّ ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»[١].

ما أكرمك على ربّك ـ **أيها المؤمن** ـ حينما يُصلي عليك مَلَك الملوك، وفاطر السمٰوات والأرض.

وصلاةُ الله على العبد هي: ثناؤُه عليه بين ملائكته، وتنويهه بذكره.

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم (٣٨٤).

فضلُ الوضوء والعنايةُ به

بادر - أخي المصلي - إلى الوضوء فور انتهائك من سماع الأذان، استجابةً لنداء الرحمٰن لك، وكيف تطيب نفسُك أنْ تتأخر وأنت تسمع من يُناديك إلى الفلاح في الدنيا والآخرة؟

ولو سمعتَ أحدًا يُنادي على توزيع أموال لأسرعتَ إليه.

واستشعر فضل الوضوء وثوابه، واعلم أنّ له منزلةً عظيمة شريفة، ومنافع صحّية وجسَديّة، ولكن المشكلة أنّ كثيرًا من الناس لا يستشعرون هذا العمل العظيم، ولا يحتسبون الأجر المترتب عليه؛ بل يتوضؤون وهم غافلون إلا من شاء الله، وربما توضؤوا على عجلٍ، وكأنه همٌّ يُريدون إزاحته عنهم.

وبعضهم قد يُفكر طويلًا ويتساءَل: هل هو مُتوضئٌ أم لا! وإذا تذكر أنه لم يكن مُتوضئًا ضاق صدرُه!

ولو عَلِم ما للوضوء من الفضائل التي لا تُحصى، والفوائدِ العظمية التي لا تخفى: لَرغب في الوضوء ولو كثُر، **ومن هذه الفضائل:**

أولًا: أنّ الوضوءَ طهارةٌ، والله ﷻ يحب المتطهرين، قال تعالى بعد ذكرِه فرضَ الوضوء والتيمم: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾.

ثانيًا: أنه سبب لمغفرة الذنوب، فقد ثبت في «صحيح مسلم»(١) عن عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ توضأ ثم قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً».

«يعني: أنَّ الوضوء لم يُبق عليه ذنبًا، فلمَّا فعل بعده الصلاة كان ثوابُها زيادةً له على المغفرة المتقدِّمة، والنَّفْل الزيادة»(٢)

وفيه(٣) أيضًا عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تحتِ أَظْفَارِهِ**».

وفي حديث أبي هريرة: «حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»(٤)

ثالثًا: أنّ من أدّى الوضوء على الوجه الأكمل، ثم صلى ركعتين لله تعالى، خرج مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

فقد ثبت في «صحيح مسلم»(٥)، عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، حدثني عن الوضوء؟ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ**

---

(١) (٢٢٩).
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/ ٤٩١.
(٣) (٢٤٥).
(٤) رواه مسلم (٢٤٤).
وهذا الموضع الثاني من المواضع التي يغفر الله فيها ذنوب المصلي.
(٥) (٨٣٢).

قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ للهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[(١)].

«أي: لا يبقى عليه شيء، لا كبيرة ولا صغيرة، هذا ظاهره»[(٢)].

الله أكبر! إنّ هذا الثواب الجزيل، ليس خاصًّا بالحج فقط، الذي فيه العناءُ والسفر والتعب؛ بل أعدّه الله تعالى لنا في اليوم خمس مرات، فيا خسارة من لم يُوفق لنيله مع سهولته وكثرتِه.

لكن تأمل الشرط: «وَفَرَّغَ قَلْبَهُ للهِ»، بألا يُفكر في الصلاة بغير الله تعالى، وهذا هو لبّ الصلاة وروحها، وذكر الله فيها غذاؤه وقُوتُه وقوَّتُه.

فبادر بعد وضوئك إلى المسجد لتصلي ركعتين؛ لتحصل على الثواب العظيم الجزيل، ولا يزهد فيه إلا محروم والعياذ بالله.

«وبعض المتوضِّئين يحصل له من الحضور ومراعاة الآداب المكمِّلة ما يستقل بسببها وضوؤه بالتكفير، وربّ متوضيءٍ لا يحصل له مثل ذلك، فيكفر عنه بمجموع الوضوء والصلاة»[(٣)].

رابعًا: أنه من أعظم أسباب دخولك الجنة!

قال النَّبيُّ ﷺ لِبِلَالٍ رضي الله عنه: **«يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ ـ يَعْنِي تَحْرِيكَ ـ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ»** قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ». متفق عليه[(٤)].

---

(١) وهذا الموضع الثالث من المواضع التي يغفر الله فيها ذنوب المصلي.
(٢) المفهم ٢/ ٤٦٤.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/ ٤٩١.
(٤) البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

ولم يقل: بأنّ أَرْجَى عَمَلٍ عَمِله فِي الإِسْلَامِ جهادُه، ولا سبْقُه في الإسلام، ولا صبرُه وثباتُه وبلاؤه، وهو الذي عُذّب أشد العذاب في مكة، وهو الذي وضع الكفارُ الصخرة على صدره في شدّة حرارة الشمس، حتى إنهم وضعوا حبلًا على عنقه وأَعْطَوْهُ الْصبيان، وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ يتضاحكون عليه، وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ، لم يذكر له كلّ هذا البلاء؛ بل ذكر له أنَّ أَرْجَى عَمَلٍ عَمِله فِي الإِسْلَامِ صلاةُ ركعتين بعد الوضوء، فأيّ فضيلةٍ ومزيّةٍ للركعتين التي فرّط فيها كثيرٌ من الناس!

ولو لم يكن من ثمار البكور إلى الصلاة إلا صلاة هذه الركعتين عند دخول المسجد لكفى.

فاسْتشعر ـ **أيها المسلمُ** ـ فضل وضوئك، الذي يُذهب الله به ما عَمِلَتْه جوارحك من الذنوب والخطايا.

خامسًا: أنه هو العلامةُ التي يعرفنا بها نبيُّنَا ﷺ، حينما نرد عليه الحوض ـ بمشيئةِ الله وحوْلِه وكرمِه وجودِه ـ، ففي «صحيح مسلم»(١)، أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ**».

قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ**».

وفي «صحيح مسلم» أيضًا(٢)، أنّ الصحابة رضي الله عنهم قالوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ، بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**».

(١) (٢٤٧).

(٢) (٢٤٩).

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ**».

إنّ هذا الوضوءَ الذي نقومُ به كلّ يوم خمس مرات، هو السّمةُ والعلامةُ التي بها يعرفنا نبيّنا وحبيبنا ﷺ، فلْنحرص على إتمامه وإسباغه.

سادسًا: أنّ الْمُتوضئ يَفْتَحُ الله تعالى له أبواب الجنة الثمانيةَ! فقد أخرج مسلم[(١)] عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**».

كم هو الشعور العظيم الذي يختلج في القلب، حينما يتوضأ العبد مُتبعًا أمر الله له، ثم يشهد بعدها شهادةَ يقينٍ وإيمان: بأَنْ لَا معبود بحقٍّ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، ثم يستحضر وهو يقولها أنّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةَ تُفتح له، ليس بينه وبين دخولها إلا هذه النفس التي بين جنبيه.

فهلّا تذوّقْنا هذه الحلاوة العظيمة عندما نتوضأ؟ وهلّا توضأنا بهذه النيّة المباركة؟

وإنّ الظنّ بالمؤمن حينما يرى هذه الفضائل العظيمة للوضوء وللركعتين بعدها أنّه سيتوضأ أحسن الوضوء، وسيُصلّي الركعتين بخشوعٍ وطُمأنينةٍ وتُؤدة؛ لأنه يستحضر الأجر الجزيل المترتب على هاتين العبادتين العظيمتين، ولا شكّ أنه سيجد في بداية الأمر كُلفةً ومشقّة، ولكن لا يلبث إلا زمنًا يسيرًا حتى يجد لها أُنسًا ولذّةً.

---

(١) (٢٣٤)

وإذا استشعرت هذه المعاني العظيمة في الوضوء: تملكَّك الفرح برحمة الله، وإذا كان هذا فضلُ الوضوء، وهو مفتاح الصلاة، فكيف بالصلاة نفسِها؟

۞ ۞ ۞

مسائل مهمة في الوضوء والطهارة والتخلّص من الوسواس

هناك مسائل في الوضوء والطهارة لا يستغني المسلم أو المسلمة عن معرفتها، أحببت ذكر أهمّها مما قد يكثر الجهل بها، وقد اقتصرت فيها على القول الراجح عندي، وجلّها مِمَّا قررها الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ومن هذه المسائل:

١ ـ أنَّ «الِاحْتِيَاطَ بِمُجَرَّدِ الشَّكِّ فِي أُمُورِ الْمِيَاهِ لَيْسَ مُسْتَحَبًّا وَلَا مَشْرُوعًا؛ بَلِ وَلَا يُسْتَحَبُّ السُّؤَالُ عَن ذَلِكَ؛ بَلِ الْمَشْرُوعُ أَنْ يُبْنَى الْأَمْرُ عَلَى الِاسْتِصْحَابِ، فَإِنْ قَامَ دَلِيلٌ عَلَى النَّجَاسَةِ نَجَّسْنَاهُ، وَإِلَّا فَلَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يُجْتَنَبَ اسْتِعْمَالُهُ بِمُجَرَّدِ احْتِمَالِ النَّجَاسَةِ، وَأَمَّا إذَا قَامَتْ أَمَارَةٌ ظَاهِرَةٌ فَذَاكَ مَقَامٌ آخَرُ»(١).

٢ ـ «ثَبَتَ بِسُنَّتِهِ ﷺ أَنَّ احْتِمَالَ نَجَاسَةِ الْأَرْضِ لَا يُوجِبُ كَرَاهَةَ الصَّلَاةِ فِيهَا؛ بَلِ ثَبَتَ بِسُنَّتِهِ أَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِمَا يُصِيبُهَا مِن الشَّمْسِ وَالرِّيحِ وَالِاسْتِحَالَةِ»(٢).

٣ ـ «لا يجب الْوُضُوءِ مِن خُرُوجِ الدَّمِ بِالْفِصَادِ وَالْحِجَامَةِ وَالْجَرْحِ وَالرُّعَافِ والْقَيْءِ، ومَسِّ الذَّكَرِ، ومَسِّ الْمَرْأَةِ لِشَهْوَةِ، وَلَا خُرُوجِ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢١/٥٦.
(٢) المصدر السابق ٢١/٣٢٢.

النَّجَاسَاتِ مِن غَيْرِ السَّبِيلَيْنِ، وَلَا غُسْلِ الْمَيِّتِ، «فَمَن تَوَضَّأَ فَقَد أَحْسَنَ، وَمَن لَمْ يَتَوَضَّأْ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ»(١).

٤ ـ من به حدثه دائم: لا يجب عليه الوضوء لكل صلاة بل يستحب؛ كالمستحاضة ومن به سلس البول ونحوهما، فإذا توضأ فلا ينتقض وضوؤُه إلا بناقضٍ آخر، وهذا مذهب الإمام مالك واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن عثيمين رحمهم الله؛ لعدم الدليل على النقض، ولأنَّ من حدثه دائم لا يستفيد بالوضوء شيئًا؛ لأن الحدث معه دائم ومستمر(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله: «الأحداث اللازمة؛ كدم الاستحاضة وسلس البول لا تنقض الوضوء، ما لم يوجد المعتاد، وهو مذهب مالك». اهـ(٣).

وقوله: «ما لم يوجد المعتاد»؛ أي: إذا كان الحدث يخرج على العادة فإنه ينقض، وعلى هذا فخروج قطراتٍ من البول بعد الاستنجاء ليس من المعتاد، فلا ينقض الطهارة كما سيأتي بيانه.

والدليل على ذلك ما ثبت عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قَالَتْ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِي حُبَيْشٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي امْرَأَةٌ أُسْتَحَاضُ فَلا أَطْهُرُ، أَفَأَدَعُ الصَّلاةَ؟ فَقَالَ: «**لا إِنَّمَا ذَلِكِ عِرْقٌ، وَلَيْسَت بِالْحَيْضَةِ، فَإِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلاةَ، فَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ وَصَلِّي**»(٤).

---

(١) المصدر السابق ٣٥/٣٥٨، ٢٠/٥٢٤ ـ ٥٢٧.
(٢) حاشية الشرح الممتع ١/٥٠٣، وكان الشيخ ابن عثيمين قد تراجع عن قوله بوجوب وضوء من حدثه دائم لكل صلاة.
(٣) الاختيارات (٢٧)، والفتاوى الكبرى ٢/٣٠٦.
(٤) رواه البخاري (٢٢٨)، ومسلم (٣٣٣).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «إنما ذلك عرقٌ»؛ دليل لنا في أن الدم السائل من الجسد لا ينقض الوضوء، فإنه قال بعد هذا: «فاغسلي عنك الدم وصلي»، وهذا أصح من رواية من روى: «فتوضئي وصلي» باتفاق أهل الصحيح، وهو قول عامة الفقهاء.

ويعني بقوله: «ذلك عرق»؛ أي: عرق انقطع فسال؛ أي: هو دمُ علَّة، ويدل أيضًا على أن المستحاضة حكمها حكم الطاهر مطلقًا فيما تفعل من المستحاضة العبادات وغيرها، فيطؤها زوجها. اهـ[(١)].

٥ ـ رطوبة فرج المرأة طاهر، والأقرب أنه لا يجب الوضوء منها، والقول بوجوب الوضوء منها أضعف من القول بوجوبه في الاستحاضة؛ لأن الاستحاضة ورد فيها حديث بخلاف رطوبة فرج المرأة مع كثرة ذلك من النساء والله أعلم[(٢)].

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما تقدّم: «لا يجب الْوُضُوءِ مِن خُرُوجِ النَّجَاسَاتِ مِن غَيْرِ السَّبِيلَيْنِ».

والسبيلان: هما مخرجا الحدث من بول أو غائط ـ الدبر والقبل ـ.

ومن المعلوم أنّ الرطوبة الخارجة من المرأة لا تخرج من مخرج

---

(١) المفهم ١/ ٥٩١.
وأما رواية البخاري «ثم توضئ لكل صلاة» فهذه الزيادة ضعفها مسلم، وأشار إلى أنه حذفها عمدًا فقال (٣٣٣): وفي حديث حماد حرف تركناه. اهـ.
وضعفها أيضًا أبو داود والنسائي، وذكرا أن جميع الروايات ضعيفة لانفراد حماد بها.
وقال ابن رجب: أحاديث الوضوء لكل صلاة: مضطربة ومعلّلة. اهـ. [فتح الباري: ٢/ ٧٣].

(٢) انظر: حاشية الشرح الممتع ١/ ٥٠٣، الاختيارات ص (٢٧)، فتح الباري لابن رجب ٢/ ٦٩ ـ ٧٥.

البول؛ بل هي من مخرج آخر متصل بالرحم، وهي لا تخرج من الرحم أيضًا؛ بل من غُددٍ تفرزها في قناة المهبل.

٦ ـ «التَّنَحْنُحُ بَعْدَ الْبَوْلِ وَالْمَشْيُ وَالطَّفْرُ[1] إلَى فَوْقٍ وَالصُّعُودُ فِي السُّلَّمِ وَالتَّعَلُّقُ فِي الْحَبْلِ وَتَفْتِيشُ الذَّكَرِ بِإِسَالَتِهِ وَغَيْرُ ذَلِكَ: كُلُّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا مُسْتَحَبٍّ عِنْدَ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ بَل وَكَذَلِكَ نَتْرُ الذَّكَرِ بِدْعَةٌ عَلَى الصَّحِيحِ، لَمْ يُشَرِّعْ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَكَذَلِكَ سَلْتُ الْبَوْلِ بِدْعَةٌ لَمْ يُشَرِّعْ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَكُلَّمَا فَتَحَ الْإِنْسَانُ ذَكَرَهُ فَقَد يَخْرُجُ مِنْهُ، وَلَو تَرَكَهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ.

وَقَد يُخَيَّلُ إلَيْهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهُ وَهُوَ وَسْوَاسٌ، وَقَد يُحِسُّ مَن يَجِدُهُ بَرْدًا لِمُلَاقَاةِ رَأْسِ الذَّكَرِ فَيَظُنُّ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَمْ يَخْرُجْ.

وَالِاسْتِجْمَارُ بِالْحَجَرِ كَافٍ لَا يَحْتَاجُ إلَى غَسْلِ الذَّكَرِ بِالْمَاءِ»[2].

٧ ـ يجب الْمُوَالَاةُ فِي الْوُضُوءِ إلَّا إذَا تَرَكَهَا لِعُذْرٍ مِثْلُ عَدَمِ تَمَامِ الْمَاءِ.

وَعَلَى هَذَا: فَلَو تَوَضَّأَ ثُمَّ عَرَضَ أَمْرٌ وَاجِبٌ يَمْنَعُهُ عَنِ الْإِتْمَامِ ـ كَإِنْقَاذِ غَرِيقٍ، أو أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَن مُنْكَرٍ ـ: فَعَلَهُ، ثُمَّ أَتَمَّ وُضُوءَهُ؛ كَالطَّوَافِ وَأَوْلَى، وَكَذَلِكَ لَو قُدِّرَ أَنَّهُ عَرَضَ لَهُ مَرَضٌ مَنَعَهُ مِن إتْمَامِ الْوُضُوءِ.

فَإِنَّ أُصُولَ الشَّرِيعَةِ تُفَرِّقُ فِي جَمِيعِ مَوَارِدِهَا بَيْنَ الْقَادِرِ وَالْعَاجِزِ، وَالْمُفَرِّطِ وَالْمُعْتَدِي، وَمَن لَيْسَ بِمُفَرِّطٍ وَلَا مُعْتَدٍ.

(١) أي: القفز.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢١/١٠٦ ـ ١٠٧.

وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا أَصْلٌ عَظِيمٌ مُعْتَمَدٌ، وَهُوَ الْوَسَطُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ، وَبِهِ يَظْهَرُ الْعَدْلُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ الْمُتَبَايِنَيْنِ»[(١)].

٨ ـ إِنْ مَنَعَ يَسِيرُ وَسَخِ ظُفْرٍ وَنَحْوِهِ وُصُولَ الْمَاءِ: فالراجح أنه تَصِحُّ طَهَارَتُهُ، وَاخْتَارَهُ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

ومثله كل يسيرٍ منع وصول الماء حيث كان كدم وعجين[(٢)].

٩ ـ من قواعد الشريعة الْمُقرَّرة: العفوُ عن يسير النجاسات الَّتي يَشُقُّ الِاحْترازُ عنْهَا، «كَيَسِيرِ بَعْرِ الْفَأْرِ»[(٣)]، وكقطرات البول اليسيرة التي تخرج بعد الانتهاء من البول، بعد التحفظ والاحتياط.

ولا يلزم غسل الملابس منه للمشقة الناشئة منه، ولأنه يُؤدي إلى الوسواس والقلق وكثرة النظر إلى السروال، والتحسس منه.

---

(١) المصدر السابق ٢١/١٣٦ ـ ١٦٧.
(٢) المستدرك ٣/ ٣١.
وهذا مُطّرد على أصل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، وهو العفو عن اليسير؛ كالنجاسات.
وإذا كان الشيء اليسير إذا منع وصول الماء كدم وعجين لا يمنع صحة الوضوء، فلا يبعد أن يكون خروج القطرة أو القطرتان من البول لمن ابتْلي بذلك لا تنقض الطهارة، ولا يُحكم بنجاستها.
ولا يُلحق بهذه القاعدة: الطلاء الذي تضعه النساء على أظافرهن، وهو ما يُسمى بالمناكير، وعلى هذا فلو اغتسلت المرأة ونسيت المناكير على أظافرها فالواجب أن تُزيلها ليصل الماء إلى أظافرها.
وهل يجب أن تُعيد الغسل، أم يكفيها غسل الأظافر؟
هذا ينبني على حكم الموالاة في الغسل، وقد رجح شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أنَّ الموالاة لا تجب في الغسل، وهذا قول جمهور الفقهاء.
أما الموالاة في الوضوء فهي واجبة؛ لما روى مسلم في صحيحه عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلًا توضأ فترك موضع ظفر على قدمه، فأبصره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ارجع فأحسِن وضوءك**»، فرجع ثم صلى.
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ٢١/ ٥٣٤.

قال العلامة خالد المشيقح حفظه الله ـ في جوابه لمن سأله عن خروج قطرات من البول بعد كل وضوء ـ: هذه القطرات التي تخرج منك بعد الوضوء معفوٌ عنها، فإذا توضأت ثم بعد ذلك خرج منك شيء من ذلك فامض إلى صلاتك ولا تلتفت إلى مثل هذه الأمور، ومن قواعد الشريعة المقررة المشقة تجلب التيسير والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾، ويقول ﷺ: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**». اهـ[(١)].

وقد أفتى النبيّ ﷺ بطهارة سُؤر الهرة؛ لأنها من الطّوافين علينا، فقد بيّن أن السبب في استثنائها: هو مشقة التحرز منها، فهذه قاعدة شرعية عظيمة.

وإذا كان يُعفى عن أثر الاستجمار بعد الإنقاء واستيفاء العدد ـ ومعلومٌ أنَّ الاستجمار لا يزيل النجاسة وأثرها تمامًا؛ بل يبقى أثرٌ لا يزيله إلا الماء ـ: فكيف لا يقال مع هذا إنه لا يعفى عن يسير نجاسة البول؟

وأفضل طريقة لمن ابتُلي بذلك: أنْ يرش ماءً على السروال، في المكان القريب من مخرج البول، بحيث لو نزلت بعض القطرات زالت أثر النجاسة بملاقاتها للماء الكثير، وحتى لا يُشغل باله: هل نزلت القطرات أم لا، فلو شك في خروج شيء من البول بإحساس بلل فإنه سيقول هذا من الماء ولا يلتفت إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَيُسْتَحَبُّ لِمَنِ اسْتَنْجَى أَنْ يَنْضَحَ

---

(١) موقع الشيخ، فتوى رقم (٤٠٩٣٠).

عَلَى فَرْجِهِ مَاءً، فَإِذَا أَحَسَّ بِرُطُوبَتِهِ قَالَ: هَذَا مِن ذَلِكَ الْمَاءِ. اهـ[١].

١٠ ـ تسوّك بعود الأراك قبل أو أثناء الوضوء[٢]؛ فإنه مِن السنن المؤكّدة، فقد ثبت عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أنه قَالَ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ**»[٣].

وفي رواية: «**عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ**»[٤].

وهو «**مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**»[٥].

قَالَ بعض العلماء: «قَدْ ذُكِرَ فِي السِّوَاكِ زِيَادَةٌ عَلَى مِائَةِ حَدِيثٍ، فَوَا عَجَبًا لِسُنَّةٍ تَأْتِي فِيهَا الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ، ثُمَّ يُهْمِلُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنْ الْفُقَهَاءِ، فَهَذِهِ خَيْبَةٌ عَظِيمَةٌ»[٦].

والسواك عند الصلاة نوعان:

أحدهما: السواك مع الوضوء للصلاة.

والثاني: السواك عند إرادة الصلاة.

ومن استاك قبل أو أثناء الوضوء أو بعده مباشرة، أو قبل دخوله للمسجد: فقد صدق في حقّه أنه استاك عند الصلاة، ولا يزال المسلم في صلاة ما انتظر الصلاة.

فلا يلزم التّسوك عند إرادة الصلاة المفروضة في المسجد.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢١/١٠٧.
(٢) مع مراعاة إغلاقِ صنبورِ الماء أثناء التَّسوك.
(٣) رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).
(٤) رواه البخاري بصيغة الجزم.
(٥) رواه البخاري معلّقًا بصيغة الجزم، وابن ماجه (٢٨٩)، والنسائي (٥).
(٦) البدر المنير لابن الملقن ٢/٦٨.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَدْرَكْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ يُحَافِظُونَ عَلَى السِّوَاكِ مَعَ وُضُوءِ الصُّبْحِ وَالظُّهْرِ، وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَهُ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ[(١)].

وهذا الذي كان يفعلُه النبيُّ ﷺ، كما نقل ذلك عنه ابنُ عباس وعائشةُ رضي الله عنهما.

ومن تسوَّك في المسجد فلْيكن بقدر ما يُطيب فمَه ويُزيل تغيُّر رائحتِه ـ خاصة عند طول المكث ـ ولا يُبالغ في الاسْتياك وتنظيف الأسنان إلى درجةِ إصدارِ صوتٍ يُزْعج مَن حوله[(٢)].

(١) التمهيد لابن عبد البرّ: ٧/٢٠٠.

(٢) ونصّ بعض العلماء على أنّه لا يستحب السواك عند إرادة الصلاة المفروضة في المسجد، وهو الأرجح عندي.
واستدلوا على ذلك بأدلة منها:
الأول: أنه «لم يُرْوَ عنه ﷺ أنه تسوّك في المسجد، ولا في محفلٍ مِن الناس» كما قال القرطبي في المفهم ١/٥٠٩، وقد كان يُصلي بهم في اليوم خمس مرات على مدى سنوات طويلة، ولم يُعلَم عن أحدٍ مِن الصحابة أنه روى عنه أنه اسْتاك عند الشرع في صلاته، مع أنَّهم رووا عنه كلّ دقيق وجليل.
فهل يُعقل ألا ينقل صحابيٌّ واحدٌ أنّ النبي ﷺ استاك في المسجد عند إقامة الصلاة؟
بل جاء في صحيح مسلم (٢٥٦) أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ بَاتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، ثُمَّ اضْطَجَعَ، ثُمَّ قَامَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى.
وفيه كذلك (٧٤٦) عن عائشة رضي الله عنها حينما سُئلت عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ.
فقد روت عائشة وابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ إنما كان يستاك عند الوضوء أو قبله، والناس اليوم يُؤخرون التسوك إلى إقامة الصلاة.
وقال حُذَيْفَة رضي الله عنه: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «**إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ**». رواه البخاري (٢٤٥).
ولم يقل هو ولا أحدٌ من الصحابة بأنّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ إذا قام إلى الصلاة تسوَّك.
وكلّ مَن روى عنه أنه استاك فإنما كان في بيته، أو لوحدِه أو خاصّة أصحابه.
وما روي أنّ بعض الصحابة رأوه يستاك: فلم يكن ذلك عند القيام للصلاة =

= في المسجد، ولم يكن ذلك في محفلٍ من الناس، بل في حال انفراده أو جلوسه من بعض خاصته، والإنسان يفعل مع خاصته ما لا يفعله مع الناس، مثل ما ثبت في صحيح البخاري (٢٤٤)، ومسلم (٢٥٤) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَوَجَدْتُهُ يَسْتَنُّ بِسِوَاكٍ بِيَدِهِ يَقُولُ أُعْ أُعْ، وَالسِّوَاكُ فِي فِيهِ، كَأَنَّهُ يَتَهَوَّعُ.

وهذه الحالة لا يفعلها أمام الناس وخاصةً عند الصلاة بهم، وقد كان النبي ﷺ يفعل أشياء عند خاصته، ولا يفعلها عند الناس، مثل ما ثبت في صحيح مسلم (٢٤٠١) أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ.

فاضطجاعُه ﷺ وكشفُه عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ إنما كان عند خاصّته، ولا يفعل ذلك ـ وحاشاه ـ في محفلٍ مِن الناس.

فقد ظهر أنّ النبي ﷺ كان يستاك في بيته كثيرًا، وخاصة إذا أراد الخروج إلى المسجد، حيث إنه ملاصق لبيته، فيكون قد استاك عند صلاته؛ أي: عند إرادته للصلاة، وسُنَّتُه الفعليّة تُفسِّر سُنَّتَه القوليّة.

ومما يدل على ذلك: أنّ السواك لا يختص بعود الأراك، بل يدخل فيه كل ما يُنظف الفم كالسواك بالخرقة ومعجون الأسنان.

قال ابن قدامة رحمه الله في المغني ١/ ٧٢: يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ السِّوَاكُ عُودًا لَيِّنًا يُنَقِّي الْفَمَ، وَلَا يَجْرَحُهُ، وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَا يَتَفَتَّتُ فِيهِ، كَالْأَرَاكِ وَالْعُرْجُونِ..

وَإِنْ اسْتَاكَ بِأُصْبُعِهِ أَوْ خِرْقَةٍ، فَقَدْ قِيلَ: لَا يُصِيبُ السُّنَّةَ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَرِدْ بِهِ، وَلَا يَحْصُلُ الْإِنْقَاءُ بِهِ حُصُولَهُ بِالْعُودِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُصِيبُ بِقَدْرِ مَا يَحْصُلُ مِنْ الْإِنْقَاءِ، وَلَا يُتْرَكُ الْقَلِيلُ مِنْ السُّنَّةِ لِلْعَجْزِ عَنْ كَثِيرِهَا. اهـ.

فالسواك لا ينحصر في عود الأراك، بل كلّ ما يحصل به التنظيف للفم فهو سواك، وعلى ذلك فالاستياك بفرشاة الأسنان يدخل في معنى السواك.

ولهذا ينبغي عندما يُنظف المسلم فمه بفرشاة الأسنان والمعجون أن ينوي بذلك إصابة السُّنَّة حتى يُؤجر وتثاب على ذلك.

وهل يقول أحدٌ بأنّ باستحباب استعمال الفرشاة أو الخرقة عند عدم السواك أمام الناس أو عند الشروع في الصلاة في المسجد؟

فإن قيل: لا، بل المشروع هو عود الأراك.

قلنا: هذا تحكّم، فمن الذي قال بأن المقصود بالسواك هو عود الأراك فقط، ولا يدخل فيه عود الْعُرْجُونِ وهو مثله؟ =

= وأما ما رواه أبو داود (٤٧) أنّ زَيْد بْن خَالِدٍ الْجُهَنِيّ كان يَجْلِسُ فِي الْمَسْجِدِ، وَإِنَّ السِّوَاكَ مِنْ أُذُنِهِ مَوْضِعَ الْقَلَم مِنْ أُذُنِ الْكَاتِبِ، فَكُلَّمَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ اسْتَاكَ: فليس فيه حجةٌ لمشروعية السواك في المسجد عند الناس، لأنّه لم يُنقل عن غيرِه، ولو كان هذا الفعل معروفًا بين الصحابة والسلف لنُقل إلينا فعلهم، وكثيرٌ من الصحابة لهم اجتهادات خالفوا فيها السنة وسائر الصحابة.

الثاني: قال القرطبي: ولأنه من باب إزالة القذر والوسخ، ولا يليق بالمساجد ولا محاضر الناس ولا يليق بذوي المروءات فعْل ذلك في الملأ من الناس بلا حاجة. [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/ ٥٠٩].

وقال في مواهب الجليل (١/ ٢٦٦) تعليقًا على حديث عائشة وأن الرسول ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك ـ قال: «**وخص بذلك دخوله بيته؛ لأنه مما لا يفعله ذوو المروءة بحضرة الجماعة، ولا يجب عمله في المسجد، ولا في المجالس الحافلة**». اهـ.

وقد نصّ كثيرٌ من العلماء على أنّ «الِاسْتِيَاكَ مِن بَابِ إمَاطَةِ الْأَذَى، فَهُوَ كَالِاسْتِنْثَارِ وَالِامْتِخَاطِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ إزَالَةُ الْأَذَى» [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢١/ ١٠٨].

وَلِذَلِكَ اسْتحبُّوا أن يكون بِالْيُسْرَى.

وأما القول بأنه مِن باب التطييب لا مِنْ بابِ إزالَة القاذُورات كما قال ذلك الحافظ ابن حجر فتح الباري ١/ ٤٦٣. وغيره: فهو خلاف الواقع، فكلّ أحد يقصد بالسواك بعود الأراك أو الفرشاة إزالة الوسخ في أسنانه أو لسانِه، وإذا زال الوسخ طاب الفم وطابت رائحتُه، فتطييب الفم أثر من أثار زوال القذر والوسخ.

الثالث: أنّ من استاك قبل دخوله للمسجد فقد صدق في حقه أنه استاك عند الصلاة، ولا يزال المسلم في صلاة ما انتظر الصلاة، ولا أظنّ أنّ أحدًا يقول بأنّ التّسوّك عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ يعني التّسوّك عند افتتاح كلّ صلاة، وإلا لزم من ذلك أنْ يستاك المسلم في صلاة التراويح بعد التسليم من كلّ ركعتين، وإذا صلى ركعتي الظهر القبليّة يستاك قبل أنْ يفتتح الركعتين الأُخريين.

وعدم استحباب التسوك في المسجد هو مذهب المالكية، وذهب الشافعية والحنابلة إلى الاستحباب.

وأما قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٠١): «أَمَّا السِّوَاكُ فِي الْمَسْجِدِ فَمَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِن الْعُلَمَاءِ كَرِهَهُ»: فيه نظر، فالخلاف في هذه المسألة ثابت، كما بيّنت ذلك في تعليقي على كلامه في تهذيبي لمجموع الفتاوى ٢/ ١٠٠.

والذي يظهر أنّه لا يُكره، ولكن ينبغي للمسلم أنّ يستاك قبل دخول المسجد، وإذا دخل المسجد فينشغل بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن.

التبكير إلى الصلاة

بادر ـ أخي المصلي ـ إلى التبكير إلى الصلاة فور انْتهائِك من الوضوء، واستشعر فضل وأجر التبكير إليها، ويكفي في ذلك قوله ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**». متفق عليه(١).

فلو يَعْلَمُ الناس مَا فِي التَّهْجِيرِ؛ أي: التبكير إلى الصلوات من الأجر الذي أعده الله تعالى لهم كلّما بكروا إلى الصلاة، وكُشف لهم عن فضل ذلك: لَمَا تأخروا عنها يومًا واحدًا بلا عُذر، ولَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِا.

وقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ**». متفق عليه(٢).

ما أجمل أن تستحضر هذه المعاني العظيمة، والأجور الكبيرة، فكلّ خَطْوَة تخطوها للمسجد يُرْفع لَك بِهَا دَرَجَةٌ، وَيُحطّ عَنْك بِهَا خَطِيئَةٌ!

---

(١) البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧).
(٢) البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩).

وكيف تدرك الخشوع في صلاتك، وحصولَ اللذَّة والطُّمأنينة فيها، وأنت لا تأتي إليها إلا مُتأَخِّرًا بعجلةٍ كي تُدركها أو تُدركَ بعضَها؟

واسْأَلْ مَنْ يأتي إلى الصلاة مُبكرًا: ما الذي يحدوك إلى ترك عملك والمسارعةِ إلى صلاتك؟ سيُجيبك بأنه يذهب إليها شوقًا لها، واسْتِمْتاعًا بأدائها.

ولا شك أنَّ المبادرة إلى المساجدِ والتبكيرَ إليها من الطاعات والقربات، التي مِن أعظم ثمارها: أنْ يظلَّ الله في ظله مَن تعلّق قبله بالمساجد تبكيرًا وعنايةً، وأنْ يجعلَه في صلاة ما دام ينتظر الصلاة، وأن يجعلَ الملائكة تَدعو له وتستغفر له.

وتجد الذي قلبُه معلّقٌ بالمساجد يترقب الأذان، لا ليلتمس الأجر فحسب؛ بل لأنه يجد في الصلاة لذّتَه وأُنسه وراحته، فهو كلّما انتهى من صلاةٍ انتظر التي بعدها، وهذا معنى تعلُّق قلبه بالمساجد.

والكريم ﷻ يُعِدُّ لك نُزلًا وضيافةً كلَّما ذهبتَ إلى المسجد، قَالَ ﷺ: **«مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»**. رواه مسلم[(١)].

ومعنى الحَدِيْث: «أن من خرج إلى المسجد للصلاة فإنه زائرُ الله تعالى، والله تعالى يُعِدُّ لَهُ نزلًا من المسجد، كُلَّمَا انطلق إلى المسجد.

والنزل: هُوَ مَا يُعَدُّ للضيف عِنْدَ نزوله من الكرامة والتحفة»[(٢)].

قال بعض العلماء: عادةُ الناس تقديمُ طعامٍ لمن دخل بيتهم، والمسجدُ بيتُ الله تعالى؛ فمن دخله أيَّ وقتٍ كان من ليلٍ أو نهارٍ،

(١) (٦٦٩).
(٢) فتح الباري لابن رجب ٥/ ٣٣.

أعطاه الله تعالى أجره وضيافته في الجنة؛ لأنه أكرم الأكرمين، ولا يضيع أجر المحسنين.

واستشعر وأنت تمشي إلى المسجد نعمة الصلاة عليك في دينك وبدنك ونظام حياتك، وتخيل حياتك بدون صلاة! كيف ستعيش؟ وكيف سيرتاح قلبك؟ وأكثر من حمد الله على هدايتك وصلاحك، فكم هم الذين حُرموا الصلاة أو المداومة عليها!

أهميّة الانشغال بالذكر والاستعداد للصلاة في طريقك للمسجد

قل وأنت في طريقك للمسجد: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا**»[(١)].

وليس هذا الدعاء العظيم خاصًّا في هذا الموضع، فقد كان النبيّ ﷺ يقوله فِي صَلَاتِهِ، أَوْ فِي سُجُودِهِ[(٢)].

واحرص عند توجُّهك إلى المسجد ألا تنشغل بشيءٍ من أُمور الدنيا، واجعل قلبك متوجِّهًا إلى الله تعالى، متوكّلًا عليه، مُقبلًا إليه، راغبًا بما عنده، فإنّ هذا مِمَّا يُعينك على الخشوع والتدبّر وحضور القلب.

وتفكَّرْ في أجر المشي إلى الصلاة، وأكثِرْ من ذكرِ الله تعالى، فإنه مِن أعظم أسباب طمأنينة القلب وراحته وانشراحِه، فتأتي إلى الصلاة منشرحَ الصدر، نقيّ القلب، صافي الذهن، فيُعينك هذا على الخشوع في صلاتك.

---

(١) رواه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣).
(٢) رواه مسلم (٧٦٣).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المشيُ إِلَى المساجد كفارة للذنوب أيضًا، وهو نوع من الجهاد في سبيل الله أيضًا. اهـ[١].

❁ ❁ ❁

(١) مجموع الرسائل ٤/ ٣٥.

التقدّمُ إلى الصفّ الأَوّل

ثم تقدّم إلى الصفّ الأول، فقد ثَبَتَ عَن النبي ﷺ أنه قال: «**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا**»(١).

«فَمَن جَاءَ أَوَّلَ النَّاسِ وَصَفَّ فِي غَيْرِ الْأَوَّلِ فَقَد خَالَفَ الشَّرِيعَةَ»(٢).

وكثيرًا ما نرى مَن يأتي مُبكرًا، ثم يجلس في غير الصف الأول لأجل أن يتكئ على ساريةٍ ونحوها، فهذا مذمومٌ إلا إذا كان له عذرٌ.

ولو دُعيت - أخي المصلي - إلى بيتِ أحدٍ مجلس تأنس به، لبادرت إلى صدر المجلس، فمالك لا تُبادر إلى صدر بيت الله تعالى؟

واشتغل بالذكر وقراءة القرآن والدعاء، وألحّ على الله ﷻ أنْ يُعينك على الخشوع وحسن العبادة.

واتْرك الحديث في الدنيا وكثرةَ المزاح، فإنه لا يليق بمن تشتغل ملائكة الرحمٰن بالدعاء والاستغفار له أنْ يكون في حالِ لهوٍ وضحك ومزاح.

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم (٤٤٠).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢٢/ ٢٦٢.

المصلّون خلف إمامهم كوفودِ الناس على ملوكهم

ثم احضر إلى المسجد مستشعرًا أنك في بيت ملك الملوك، ثم صل ما كَتَب الله لك، وانشغل بأحبّ شيء إليه، وهو تلاوة كتابه بتدبر وتأمل، فإذا أقيمت الصلاة، فقم بتؤدة وطمأنينة، مستحضرًا الأدب في قيامك للصلاة، معظمًا وقوفك بين يديه كأنك تراه.

وتذكّر حينما تقف مع بقيّة المأمومين في الصفّ أنكم تصفون كما تصفّ الملائكةُ عند ربّها ﷻ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاثٍ** ـ وذكر منها ـ: **جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلائِكَةِ**»[(١)].

فتفكّر وأنت تقف في نعمة الله علينا، حيث فضّلنا نحن ـ أمة محمد ﷺ ـ بهذه الفضيلة، فأخّر تشريعها وادّخرها لهذه الأمة، إظهارًا لكرامتها وشرفها.

«والصفوف في الصلاة مما خص الله به هذه الأمة وشرفها به؛ فإنهم أَشْبَهُوا بذلك صفوف الملائكة في السماء»[(٢)]، كما أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥﴾ [الصافات: ١٦٥]؛ أَيْ: نَقِفُ صُفُوفًا فِي الطَّاعَةِ، قال بعض السلف في معنى الآية: وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ للصلاة، وأقسم بالصافات صفًّا، وهم الملائكة فقال:

(١) رواه مسلم (٥٢٢).
(٢) فتح الباري لابن رجب ٦/ ٢٦٨.

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١﴾؛ أي: الْمَلَائِكَةُ صُفُوفٌ فِي السَّمَاءِ[١].

والملائكة قد ملأت السماء، وما فيها «مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ»[٢]؛ بل إنّ البَيْت المَعْمُور وحده: «يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»[٣]، فلك أن تتخيل هذا الكمّ الهائل من ملائكة الرحمٰن! كلّهم يصفون لله، ويصلّون له تعالى، ونحن نصفّ كما يصفّون عند ربّهم!

واستحضر حينما تقف أنت ومن معك من المأمومين خلف الإمام بسكينة وأدب أنكم كالوفد الداخل على ملكٍ من ملوك الدنيا، ولله المثل الأعلى سبحانه وتعالى.

فالوفد الداخل على الملك: يصفون أمامه صفًّا واحدًا متراصًّا، بثياب حسنة، وهيئة جميلة، ويتقدمهم أحسنهم كلامًا، وأفصحهم بيانًا، فلا ترى منهم حركةً ولا الْتفاتًا، فلا يُظن بالملك إلا قبول حاجتهم وشفاعتهم، وإكرامهم والإحسان إليهم.

وحال المصلين خلف إمامهم أعظم وأهيب، فهم يقفون أمام ملك الملوك، الذي بيده النفع والضر، والسعادة والشقاء، فلا يُظن بالكريم الرحيم الغني إلا إجابة سؤالهم، وقبول حاجتهم، وإكرام وفادتهم.

وكلّ وفْد سيختار أفضل رجل منهم ليقدِّموه يتكلم نيابة عنهم؛ وعلى حسب بلاغة وأسلوب وحجة رئيسهم يكون قبول واستجابة الملك لهم، وكذلك ينبغي أن يختار المصلّي الإمامَ الذي سيصلي خلفه، فعلى

(١) وهذا قول سلف الأمة، ولم يحك ابن جرير وابن كثير قولًا آخر.
(٢) رواه الإمام أحمد (٢١٥١٥)، والترمذي (٢٣١٢).
(٣) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢).

حسب قراءة وإتقان الإمام لصلاته وتلاوته وخشوعه وحسن أدائه يخشع من خلفه، وتكون هذه الصلاةُ مقبولةً، والدعاءُ مستجابًا بإذن الله تعالى.

ولذلك قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**». رواه مسلم[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) (٦٧٣).

تكبيرة الإحرام وما فيها من اللطائف

ثم كبر للصلاة، رافعًا يديك إلى أذنيك، وكأنك تودِّع الدنيا وتتركها خلف ظهرك، قائلًا بلسانك: الله أكبر، وقائلًا بقلبك: الله أكبر من الدنيا التي لا تسوى عند الله جناح بعوضة، وأكبر من حاجتي التي سأطلب قضاءها منه، وأكبر ممن يتهددني ويتوعدني من البشر، ومن الشيطان الرجيم الذي يتربّص للتشويش عليّ.

وإذا نطق لسانك بالتكبير: فينبغي أن لا يُكذبه قلبك، فإن كان في قلبك شيءٌ هو أكبر من الله تعالى: فالله يشهد إنك لكاذب.

وللتكبير مزيّةٌ خاصّة، ومنزلةٌ شريفة، فهو مَشْرُوعٌ عنْدَ كُلِّ أمْرٍ كبيرٍ وعظيم مِن مَكانٍ وزَمانٍ، وحالٍ ورِجالٍ؛ ليتَبيَّنَ ويظهَرَ للجميع أنَّ اللهَ تعالى أعلى وأكْبَرُ؛ «لِتَسْتَوْلِيَ كِبْرِيَاؤُهُ فِي الْقُلُوبِ عَلَى كِبْرِيَاءِ مَا سِوَاهُ، وَيَكُونَ لَهُ الشَّرَفُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ.

وَقَد ثَبتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا أَشْرَفَ عَلَى خَيْبَرَ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ(١).

وَكَانَ يُكَبِّرُ عَلَى الْأَشْرَافِ مِثْل التَّكْبِيرِ إذَا رَكِبَ دَابَّةً وَإِذَا عَلَا نَشْزًا مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا صَعِدَ عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ..

(١) رواه البخاري (٣٧١)، ومسلم (١٣٦٥).

وَجَاءَ التَّكْبِيرُ مُكَرَّرًا فِي الْأَذَانِ فِي أَوَّلِهِ وَفِي آخِرِهِ.

وَفِي أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ، وَهُوَ حَالُ الرَّفْعِ وَالْخَفْضِ وَالْقِيَامِ إِلَيْهَا.

فَالتَّكْبِيرُ شُرِعَ أَيْضًا لِدَفْعِ الْعَدُوِّ مِن شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالنَّارِ الَّتِي هِيَ عَدُوٌّ لَنَا، وَهَذَا كُلُّهُ يُبَيِّنُ أَنَّ التَّكْبِيرَ مَشْرُوعٌ فِي الْمَوَاضِعِ الْكِبَارِ لِكَثْرَةِ الْجَمْعِ، أَو لِعَظَمَةِ الْفِعْلِ، أَو لِقُوَّةِ الْحَالِ، أَو نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْكَبِيرَةِ؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ اللهَ أَكْبَرُ، وَتَسْتَوْلِيَ كِبْرِيَاؤُهُ فِي الْقُلُوبِ عَلَى كِبْرِيَاءِ تِلْكَ الْأُمُورِ الْكِبَارِ، فَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ، وَيَكُونُ الْعِبَادُ لَهُ مُكَبِّرِينَ، فَيَحْصُلُ لَهُم مَقْصُودَانِ:

أ ـ مَقْصُودُ الْعِبَادَةِ بِتَكْبِيرِ قُلُوبِهِم للهِ.

ب ـ وَمَقْصُودُ الِاسْتِعَانَةِ بِانْقِيَادِ سَائِرِ الْمَطَالِبِ لِكِبْرِيَائِهِ»[(١)].

ومن أسرار الصلاة العجيبة: تكرار التكبير، فإنَّ المصلّي كلّما سَبح في هذه الدنيا فإنه مع سماع التكبير يفهم منها أنّ الله تعالى أكبر من هذه الدنيا التي شَغَلت بالك، وأكبر من كلّ شيءٍ يخطر ببالك؛ فانصرف إلى الكبير المتعال.

والشيطان مُتربّصٌ بك، والدنيا تحوم حولك، فما أسرع ما يشرد ذهنك، فلذلك احتجتَ إلى أنْ تُكرِّرَ التكبير لتتصاغر في عينك هذه الدنيا التي تُفكر بها، وتتقوَّى بتذكُّر عظمة الله تعالى على نزغات الشيطان.

فإذا شرد ذهنك فسرعان ما تنطق بالتكبير لتعود إلى التفكر في شأن صلاتك، وإذا ضعف خشوعك فإنّ التكبير يُقويّه ويُحييه.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٤/ ٢٢٣ ـ ٢٣٠.

فلا تجعل تكبيرات الانتقال لا روح لها، وإنما مجرد ذكر تتفوَّه به؛ بل اجعلها تملأ فمك، وتجول في قلبك، فتُحرق بها وساوس الشيطان، وتسترد بها خشوعك وإقبالك على خالقك الذي تقف بين يديه سبحانه.

❁ ❁ ❁

دعاء الاستفتاح وما فيه من المعاني اللطيفة

ثم اقرأ دعاء الاستفتاح، وتأمل ما فيه من تنزيه الله وتعظيمه وتوحيده.

ولا تقل هذا الدعاء لمجرد أنه سُنّةٌ؛ بل قله لحاجتك إليه، واجعل لسانك ينطق به، وقلبك يتفكر به، ووجدانك يعيش معه.

والله تعالى ما شَرَع هذه الأذكارَ لتكليف اللسان بتحريكِه، أو لكسبِ الأجر والثواب فقط؛ بل لأجل تنويرِ القلب بتعظيمه وإجلالِه، وتقويةِ القلب ببركة ذكره، فينشرح الصدر، ويقوى الإيمان.

فقل بقلبك ولسانك: «**سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك**»؛ أي: أُنزّهك ربّي عن كلّ ما لا يليق بك، تنزيهًا مقرونًا بالحمد والثناء.

«**وتبارك اسمك**»؛ أي: أنّ اسمَك نفسَه كلَّه بَركة، وذاتُك أعظم وأشدُّ بركة.

«**وتعالى جدُّك**»؛ أي: ارتفعَت عظمتُك ارتفاعًا عظيمًا.

«**ولا إله غيرك**»؛ أي: لا معبودَ مألوهًا محبوبًا حُبًّا مُطلقًا بحقٍّ غيرك.

وهناك أنواعٌ من الاستفتاحات الثابتة عن النبي ﷺ، ومن ذلك:

١ ـ «**اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**»،

فقد روى مسلم في «صحيحه»(١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إذ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟**» قَالَ رَجُلٌ مِن الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ**» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ».

٢ ـ «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ»(٢).

واستحضر ذنوبك السالفة والحاليّة عند دعائك بهذا الدعاء.

ومعنى هذا الدعاء: أسألك ـ ربي ـ أنْ تُباعد بيني وبين فِعلِ الخطايا بحيث لا أَفْعَلُها، وأنْ تُباعد بيني وبين عقوبتِها، كما باعَدَت بين المشرقِ والمغربِ.

اللَّهُمَّ نقِّني مِن خطاياي كما يُغسل الثوبُ الأبيضُ إذا أصابه الدَّنس، فيرجع أبيض.

وأزِلْ ـ يا كريم ـ آثارَها بزيادة التطهير بالماء والثَّلجِ والبَرَدِ.

«والخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضَعْفًا، فيرتخي القلب، وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه؛ فإنَّ الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يُمِدُّ النار ويُوقِدُها، ولهذا كلمَّا كثرت الخطايا اشتدّتْ نارُ القلب

---

(١) (٦٠١).
وعند أبي داود (٧٦٤) وغيره أنه ﷺ كان يستفتح به صلاته.
(٢) متفق عليه، البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).

وضَعْفُه، والماء يغسل الخبث، ويطفي النار؛ فإنْ كان باردًا أورث الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه ثلج وبَرَد كان أقوى في التبريدِ وصلابةِ الجسم وشدَّتِه، فكان أَذْهَب لأثر الخطايا»(١).

ولا تجمع هذه الاستفتاحات في صلاةٍ واحدة؛ بل اجعل لكل صلاةٍ صيغةً منها.

«والِاقْتِدَاءُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي أَنْ يَفْعَلَ هَذَا تَارَةً وَهَذَا تَارَةً، أَفْضَلُ مِن لُزُومِ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ وَهَجْرِ الْآخَرِ.

فَلِكُلِّ اسْتِفْتَاحٍ حَاجَةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ؛ فَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنُ بِحَظِّهِ مِن كُلِّ ذِكْرٍ»(٢).

---

(١) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١/٢١٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٢٢/٣٣٧، ٣٤٦.

الاستعاذةُ ومعناها

ثم الْجأ إلى الله أن يُعيذك من الشيطان الرجيم، الذي أقسم بعزة الله أنْ يُغويك فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

«فإذا قلت: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فاعلم أنه عدوك، ومترصد لصرف قلبك عن الله ﷻ، حسدًا لك على مناجاتك مع الله ﷻ وسجودك له، مع أنه لُعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها.

وإنَّ استعاذتك بالله سبحانه منه: بتركِ ما يحبه، وتبديلِه بما يحب الله ﷻ، لا بمجرد قولك»(١).

فإنّ مَن أقْبَل عليه عدوٌّ ليفتك به، فقال لصاحب حصن: أعذني واحمني من هذا العدو، وهو ثابتٌ في مكانه، باردٌ في مقالِه، فإن ذلك لا ينفعه؛ بل لا يعيذه إلَّا بتبديل المكان، وسيعرف صاحب الحصن أنه ليس صادقًا في طلب اللجوء، ولا عازمًا على طلب السلامة.

فكذلك من يستعيذ بالله من الشيطان قولًا لا عملًا وادّعاءً، ولا عزمًا: فإنه لا يغنيه مجردُ القول؛ بل عليه أنْ يقترن قولُه بالعزم على التعوذ بحصن الله تعالى من شرّ الشيطان.

فإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم: فاعزم على اللجوء إلى الله

(١) إحياء علوم الدين ١/ ١٦٧.

تعالى من كيد الشيطان، وذلك بالعزم على الخشوع في الصلاة، والطمأنينة فيها، وعلى تدبر القرآن في الصلاة، والتفكر في أذكار الركوع والسجود والرفع منهما، والجلوس للتشهد.

وهناك صيغةٌ أخرى للاستعاذة، وهي: «أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ»[(١)].

وهمزُه: شدّة دفعِه، ومنه قيل للحرف الذي يخرج من هواء الفم للدفع: همزة، ومن أشدّ رفعِه وتسلّطِه: أن يُصيب بالجنون.

وَنَفْخه: الْكِبْرُ، «وَإِنَّمَا فُسِّرَ بِالْكِبْرِ لِأَنَّ الْمُتَكَبِّرَ يَتَعَاظَمُ لَا سِيَّمَا إِذَا مُدِحَ»[(٢)].

وَنَفْثُهُ الشِّعْرُ، «وَالنَّفْثُ: نَفْخُ الرَّجُلِ مِنْ فِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخْرِجَ رِيقَهُ»[(٣)].

«وَإِنَّمَا كَانَ الشِّعْرُ مِنْ نَفْثَةِ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّهُ يَدْعُو الشُّعَرَاءَ الْمَدَّاحِينَ الْهَجَّائِينَ، الْمُعَظِّمِينَ الْمُحَقِّرِينَ إِلَى ذَلِكَ»[(٤)].

وقد أمر الله تعالى نبيّه ﷺ بأنْ يستعيذ من همزات الشياطين وحضورهم، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾.

وكرّر النِّداءِ بطلب الاستعاذة؛ «لإظهارِ كمالِ الاعتناءِ بالمأمورِ به، وعرضِ نهايةِ الابتهالِ في الاستدعاءِ؛ أي: أعوذُ بك من أنْ يحضروني ويحومُوا حولي»[(٥)]؛ فإنّ الشياطين تحضر المسلم عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ.

(١) رواه أبو داود (٧٧٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.
(٢) نيل الأوطار للشوكاني ٢/٢٢٨.
(٣) تفسير القرطبي ١/ ٨٧.
(٤) نيل الأوطار للشوكاني ٢/٢٢٨.
(٥) تفسير أبي السعود ٦/ ١٥٠.

قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ**». رواه مسلم(١).

واحرص على الدعاء بهذا الدعاء عند حضورك للصلاة وعند كلّ عمل صالح.

ثم استعن بالله الرحمٰن الرحيم قائلًا: باسم الله الرحمٰن الرحيم.

«والِاسْمُ إذَا دُعِيَ وَذُكِرَ يُرَادُ بِهِ الْمُسَمَّى»(٢)، فأنت تستعينُ بالله تعالى الرحمٰن الرحيم على إقامةِ صلاتك والخشوعِ فيها، وعلى دَحْرِ الشيطان المترَبِّصِ بك، وعلى طرد ما يُشغلك عن صلاتك ومُنجاة ربّك سبحانه.

❁ ❁ ❁

(١) (٢٠٣٣).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١٦/ ٣٢٣.

قراءةُ سورةِ الفاتحةِ وسائرِ القرآن عَلَى مُكْثٍ وَتَمَهُّلٍ

بعد أن اسْتعذت بربّك من الشيطان الرجيم، واسْتعنت به وحده: فقد تهيَّأت لشرف تلاوةِ كلامِه، الذي وصفه الله بأوصاف عظيمة، منها: أنه كتابٌ عزيز على الله، لا يستطيع أحدٌ تحريفه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾.

أي: إِنَّ هذا القرآن لَكِتابٌ عَزِيزٌ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ، ويَنْبَغِي للمخلوقِ أَنْ يُعِزَّ وَيُجِلّ كلام الخالقِ الكريمِ عليه، وَأَلَّا يُهذّه هذّ الشعر، ولأجل عزّته وكرمِه عليه أَعَزَّهُ ورفعَه الله تعالى فَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ بَاطِلٌ.

وهذا القرآن العزيز: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾؛ أي: «لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾»[1].

ووصفه ربُّ العزة والجلال بأنه ثقيل فقال: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾؛ أَيْ: سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثقيلًا يَثْقُلُ حَمْلُهُ، فَمَنْ أُمِرَ بتلاوته،

(١) تفسير السعدي، ص٧٥٠.

وتدبُّرِه، والْعَمَلِ بِشَرَائِعِهِ، والتأدُّب بآدابه: لَمْ يَتَهيَّأْ لهُ ذلِكَ إلَّا بحَمْلٍ شديدٍ علَى النَّفْسِ وَمُجاهَدَةٍ لِلشَّيْطانِ، فَهُوَ أَمْرٌ يَثْقُلُ عَلَى الْعَبْدِ، ولكنه بإعانة الله وصدق العزم يكون يسيرًا.

وإذا كان الله تعالى وصف كلامه وكتابه بهذه الأوصاف وغيرها: فهل يليق بك ـ **أخي المصلي** ـ أنْ تقرأه بعجلة، ودون فهمه والعزم على العمل به، ودون قراءته على أهل القرآن لأجل أنْ تقرأه كما أُنزل مُرتّلًا مُجوّدًا؟

«وتتجلى أهمية الترتيل من قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ حيث أضافه الله تعالى إلى نفسه تبارك اسمه.

كما تتأكد أهميته من قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ حيث أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالعمل به.

ومعنى تَرْتِيل القِراءة شرعًا: التَّأني فِيهَا والتَّمهُّلُ وتَبْيين الْحُرُوفِ والحَركات.

وقراءة كتاب الله تعالى على الوجه الذي أنزله من أعظم الأعمال وأحبها إلى الله تعالى، ولا يُمكن ذلك إلا بتلقي القرآن من أفواه المشايخ الْقُرَّاء، الذيْ تَلَقَّى كلُّ واحدٍ منهم القرآنَ عن شيخِه إلى رسولِ الله ﷺ»(١).

وإذا كان الله تعالى رتّل القرآن، وأمر نبيّه وخليلَه بأنْ يُرتِّله، فهل يليق بك ألا تُرتّله؟

ولو طُلب منك ـ **أخي المسلم** ـ أنْ تُلقي كلمةً أمام مَلِك من ملوك الدنيا، لجعلتَ تُكررها مرارًا خوفًا من الخطأ، ولربما قرأتها على أهل

---

(١) الْمَسَائِلُ الْمُهِمَّةُ فِي التَّجْوِيدِ والْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ للمؤلّف ١٦٠

الخبرة في الإلقاء ليكون إلقاؤك أحسن إلقاء، ولَطلبت قراءتها على عالم بالنحو والعربية لِيُصوِّب ما فيها كي تسلَمَ من اللحن.

أوليس الأولى بك أنْ تقرأ كلام الله تعالى على أهل الخبرة في القراءة والتجويدِ تعظيمًا لملك الملوك الذي تقف بين يديه؟

وإنّ مما يبعث على العجب: أنك تجد مَن إذا تحدّث أمام جماهير الناس أو أمام مُعظّم أو مسؤول، أو تحدّث في المذياع تحدّث بسكينةٍ وتُؤدة، ولم يستعجل في حديثه، ثم إذا وقف بين يدي ملكِ الملوك سبحانه سرد كلامه ـ جلَّت عظمتُه وعزّ جاهُه ـ سردًا باردًا، واستعجل في سرد الأذكار والأدعية!

فهل يليق بأنّ تكون هيبتُه وتوقيرُه للمخلوق أعظمَ مِن الخالق سبحانه؟ حاشا وكلا.

«وإذا أردنا أنْ نخشعَ ونتدبَّرَ في الْقُرْآنِ، فِي الصَّلَاةِ وَفِي غَيْرِ الصَّلَاةِ، علينا أَنْ نقْرَأَهُ عَلَى مُكْثٍ وَتَمَهُّلٍ، بِخُشُوعٍ وَتَدَبُّرٍ، وَأَنْ نقِفَ عَلَى رُؤُوسِ الْآيَاتِ، وَنُعْطِيَ الْقِرَاءَةَ حَقَّهَا مِنَ التَّجْوِيدِ وَالنَّغَمَاتِ، مَعَ اجْتِنَابِ التَّكَلُّفِ وَالتَّطْرِيبِ، وَاتِّقَاءِ الِاشْتِغَالِ بِالْأَلْفَاظِ عَنِ الْمَعَانِي»(١).

ومَن فعل ذلك وجد لقراءة القرآن لذّةً وأنسًا وطربًا، واسْتَغْنَى به عن سماع الألحان والغناء المباح، قَالَ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ**». رواه البخاري(٢).

«والمراد: أنه يجعله عِوضًا عن الغناء، فيطربُ به ويَلْتَذّ، ويجد فيه راحةَ قلبه وغذاءَ روحه، كما يجدُ غيرُه ذلك في الغناء بالشعر»(٣).

(١) تفسير المنار ١/ ١٢٠.
(٢) (٧٥٢٧).
(٣) فتح الباري لابن رجب ٨/ ٤٣٥.

=

وقد ثبت في «الصحيحين»[(١)] أنّ رجلًا قال لابن مسعود رضي الله عنه: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ؟ إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ».

«وهذُّ الشعر: الاسترسال في إنشاده من غير تدبُّرٍ في معانيه، ومعنى هذا: أنَّ الشعر هو الذي إنْ فعل الإنسان فيه ذلك سُوِّغ له، وأما في القرآن فلا ينبغي مثل ذلك فيه؛ بل يُقرأ بترتيل وتدبُّر»[(٢)].

فلا تهتمّ بكثرة ما تقرأ، ولكن اهتمّ واعتنِ بالاستفادةِ مما تقرأ، والعمل به، وتدبّره وتأمّله.

واعلم أنّ السُّنَّةَ «الوقوفُ على رؤوسِ الآيات، وإن كانت الآية الثانيةُ متعلقةً بالأُولى تعلقَ الصفة بالموصوف أو غير ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾»[(٣)].

فقوله: (الذين هم..) صفةٌ للمصلّين، ومع ذلك فالسُّنَّة الوقوف على: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾؛ لأنها رأس آية.

= قلت: ومن اللطائف: قول الإمام البخاري رحمه الله: بَابُ مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]. ثم ذكر حديث الباب.

فقد أشار بأنّ القرآن بما فيه من قصص وأحكام وحِكَم يُغْنِي عَنْ أَخْبارِ الْأُمم الْماضيةِ واللاحقة، ويُغني بما يحويه من المواعظ والتربية والأخلاق عن كلام الحكماء في باب الوعظ والتربية والأخلاق.

ولا شك أنّ من قرأ القرآن بتدبّر وعناية بترتيله وتجويدِه والوقوفِ على معانيه وحِكمِه ومقاصدِه: فإنّه سيجد له لذّةً وأنسًا وانتماءً يُغنيه عن الْتماس اللذة والحِكَم والمواعظِ والقصص من غيرِه.

(١) البخاري (٧٧٥)، ومسلم (٨٢٢). (٢) المفهم ٢/ ٤٥٤.

(٣) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٣/ ٨٢.

من فضائل سورة الفاتحة

بعد أنْ لَجَأْت ـ **أخي المصلي** ـ إلى الله في أنْ يُعيذك من الشيطان الرجيم ثم اسْتعنت به ﷻ: اقرأ سورة الفاتحة، مُتأمِّلًا أسرارها العجيبة، عارفًا لفضلها ومكانتها، فقد رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَرجلٍ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».

وثبت عند الإمام أحمدَ(٢) والترمذيِّ(٣) وغيرهما، أنه ﷺ قال عنها: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ**».

وممَّا يدلُّ على فضلها وعظمتها كثرةُ أسمائها:

فمنها: فاتحةُ الكتابِ، ففي «الصَّحيحين»(٤) أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»، وإنَّما سُمِّيت «فاتحة الكتاب» لافتتاح سُور القرآن بها كتابةً، وقراءةً في الصلاة.

ومن أسمائها: أم القرآن، قال ﷺ: «**كلُّ صلاةٍ لا يُقرأ فيها بأمِّ**

---

(١) (٤٤٧٤). (٢) (٨٦٨٢).
(٣) (٣١٢٥).
(٤) «صحيح البخاري» (٧٥٦)، و«صحيح مسلم» (٣٩٤).

القرآن فهي خِدَاجٌ» رواه مُسْلِمٌ[(١)].

«وسُمِّيَت الفاتحة أم الكتاب؛ لأنها أصلُه؛ أي: هي متضمنةٌ لجميع علومه، فهي منها وراجعة إليها، ومنه سميت الأم أُمًّا؛ لأنها أصل النَّسْل، ومنه: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾، و﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾»[(٢)].

ومن أسمائها: السبعُ المثاني، والقرآنُ العظيم، كما تقدم.

ومن أسمائها: الصَّلاة، قال ﷺ: «**قال الله تعالى: قُسمت الصَّلاةُ بيني وبين عبدي نصفين، فنصفُها لي، ونصفُها لعبدي، ولعبدي ما سأل**» رواه مسلمٌ[(٣)].

وإنَّما سُمِّيت «صلاةً»؛ لأنَّها لُبُّها ولا تصحُّ إلَّا بها.

ومن أسمائها: رقيةُ، قال ﷺ للذي رَقَى بالفاتحة: «**وما يدريك أنَّها رقيةٌ**». متفق عليه[(٤)].

وكثرةُ أسمائها دليلٌ على شرفها وعلوّ شأنِها.

ويكفي في بيان شرفِها وفضلِها ومكانتِها: أنّ بابًا من السماء لم يُفتح إلا حين نزولِ مَلَكٍ لم ينزل قطّ إلا حين نَزَل بفَاتِحَة الْكِتَابِ وَخَوَاتِيم سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فقد ثبت في «صحيح مسلم»[(٥)] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا ـ أي: صوتًا شديدًا ـ مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ ـ أي: جبريل ـ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ ـ أي: جبريل ـ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ

---

(١) (٣٩٥).
(٢) المفهم ٢/ ٢٥ ـ ٢٦.
(٣) (٣٩٥).
(٤) البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).
(٥) (٨٠٦).

أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ.

أي: «لَنْ تَقْرَأَ بكلِّ حرفٍ من الفاتحة والخواتيم إلا أعطيتَ ما اشتملتْ عليه تلك الجملة من المسألة؛ كقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦] وقولِه ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ونظائر ذلك في غير المسألة، فيما هو حمد وثناء، أُعطيت ثوابَه»[(١)].

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان القاري ٤/ ١٤٦٥.

الشرح الْمُجمَلُ لسورة الفاتحة

إذَا قُلْتَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، «فَاسْتَحْضِرْ مِنْ مَعْنَاهَا، أَنَّ كُلَّ ثَنَاءٍ جَمِيلٍ فَهُوَ للهِ تَعَالَى اسْتِحْقَاقًا وَفِعْلًا، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ الرَّبُّ خَالِقُ الْعَالَمِينَ، وَمُدَبِّرُ جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فِي نَفْسِهِ، ﴿ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ بِخَلْقِهِ»[١].

«فإذا قلت: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه، لتتضح لك رحمته، فينبعث بها رجاؤك»[٢].

ثم اسْتَثِرْ من قلبك التعظيم والخوف بقولك: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ذِي الْمُلْكِ والتَّصرُّفِ دُونَ غَيْرِه، فلا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معه مثقال ذرّة، ولا مَلِك يومئذٍ إلا هو، ولَا يُرْجَى غَيْرُهُ.

«فَلِلَّه الْمُلْك يوم الدين خالصًا دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفرادَ بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغَرة الأذِلّة، وأنّ له ـ مِن دُونهم، ودون غيرهم ـ الْمُلك والكبرياء، والعزة والبهاء، كما قال جلّ ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾

---

(١) تفسير المنار ١/ ١١٩، مع بعض التصرف.

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ١٦٧.

[غافر: ١٦]، فأخبر تعالى ذكره أنه المنفرد يومئذ بالْمُلك دون ملوك الدنيا، الذين صارُوا يوم الدّين مِنْ مُلكهم إلى ذِلّة وصَغار، ومِن دُنياهم في المعاد إلى خسار»(١).

«ثم جدِّد الإخلاص بقولك ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلّا بإعانته، وأن له المنة إذ وفّقك لطاعته، وجعلك أهلًا لمناجاته»(٢).

«فإِذَا قُلْتَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وما بعدها، فَتَذَكَّرْ أَنَّكَ تُخَاطِبُ هَذَا الرَّبَّ الْعَظِيمَ كِفَاحًا، بِمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ صَادِقًا فِيهِ، وَمَعْنَاهُ: نَعْبُدُكَ وَحْدَكَ دُونَ سِوَاكَ بِدُعَائِكَ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْكَ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، لا نستعين ولا نتوكل إلا عليك، فعليك اعتمادُنا في أمورنا، وبك وحدك نستمدُّ المعونة والقوة في شُؤوننا.

ثم بعد أنْ قدّمتَ هذا الثناء والحمد العظيم لله تعالى، وأثنيتَ عليه بأفضل وأبلغ المدائح التي يرضاها، قدِّم السؤال والطلب وقل: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ دُلَّنَا وَأَوْصِلْنَا بِتَوْفِيقِكَ وَمَعُونَتِكَ، إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا زَلَلَ، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، بِالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَثَمَرَتِهِمَا، وَهِيَ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ، وَتَذَكَّرْ إِجْمَالًا أُولَئِكَ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ، «مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ»، وَأَنَّ حَظَّكَ مِنْ هَذِهِ الْهِدَايَةِ لِصِرَاطِهِمْ، إِنَّمَا يَكُونُ بِالتَّأَسِّي وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمُرَافَقَتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، «﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ فَضْلًا وَإِحْسَانًا مِنْكَ، ﴿غَيۡرِ

---

(١) تفسير الطبري ١/ ١٤٩.

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ١٦٧.

﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بإيثارِهِمُ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ، وَتَرْجيحِهِمُ الشَّرَّ عَلَى الْخَيْرِ، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ بِجَهْلِهِمْ، ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾»(١).

وهذا الدعاء: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ «هُوَ أَفْضَلُ دُعَاءٍ دَعَا بِهِ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَهُوَ أَوْجَبُ دُعَاءٍ دَعَا بِهِ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَأَنْفَعُ دُعَاءٍ دَعَا بِهِ الْعَبْدُ رَبَّهُ، فَإِنَّهُ يَجْمَعُ مَصَالِحَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْعَبْدُ دَائِمًا مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ لَا يَقُومُ غَيْرُهُ مَقَامَهُ»(٢).

ثم أمّن على هذا الدعاء العظيم، الذي إن استجاب الله تعالى لك أفلحت وفزت وربحت في الدنيا والآخرة، فقل بكلّ رجاء وصدق: آمين؛ أي: اللَّهُمَّ استجب.

وكم من مصلٍّ صادقٍ دمعت عيناه حين دعائه بأنْ يهديَه ربُّه الصراط المستقيم، وحين تأمينه، لشعورِه بعظمة هذا الدعاء، وأهمِّيَّتِه ومكانتِه.

واحذر أنْ يكون تأمينُك مجرّدَ كلمةٍ عابرةٍ تخرج من طرف لسانك لا روح فيها، كما هو حال الكثير من المصلين؛ بل اجعل تأمينَك يخرج من سويداء قلبك، راجيًا من الكريم الوهاب أنْ يُجيب دعاءك، ويُعطيك ما سألتك، ويُعيذك مما استعذت منه.

واسْتحضر أثناء تأمينك أنّ ملائكة الله تعالى تُؤمن كذلك، فإذا

---

(١) تفسير المنار ١/ ١١٩ ـ ١٢٠، مع بعض التصرف.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١٧/ ١٣٠ ـ ١٣٢.

وَافَقَ تَأْمِينُك تَأْمِينَهم غُفِرَ لَك مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبك، قال ﷺ: «**إِذَا أَمَّنَ القَارِئُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تُؤَمِّنُ، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري (٦٤٠٢)، ومسلم (٤١٠).
وهذا الموضع الرابع من المواضع التي يغفر الله فيها ذنوب المصلي.

الشرح الْمُفصّل لسورة الفاتحة

إذا أردنا أنْ نعرف قدرَ هذه السورةِ وعلوَّ شأنها، فلْنتدبرها لِنَغُصْ في معانيها وأسرارها بشيءٍ من التفصيل.

فإذا شرعت ـ أخي المصلي ـ في قراءة الفاتحة، فاسْتحضر بأنك تُخاطب الله تعالى دون واسطة، وأنه يردُّ على كلِّ آيةٍ تنطقها، فما أهيبه حينما يُجيبك العظيمُ الوهاب، وما أَجَلَّه من ردٍّ وجواب.

قَالَ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». رواه مسلم[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فإذا قال العبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وقف هُنَيْهَةً يسيرةً ينتظر جواب ربه له بقوله: «حمدني عبدي»، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، انتظر الجواب

(١) (٣٩٥).

بقوله: «أَثْنَى عليّ عبدي»، فإذا قال: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ انتظر جوابه: «مَجَّدني عبدي».

فيا لذةَ قلبِه، وقرةَ عينه، وسرورَ نفسه بقول ربه: عبدي ثلاث مرات، فوالله لولا ما على القلوب من دخان الشهوات، وغيم النفوس: لطارتْ فرحًا وسرورًا بقول ربها وفاطرها ومعبودها: «حمدني عبدني، وأثنى علي عبدي، ومجدني عبدي».اهـ(١).

«فلو لم يكن لك من صلاتك حظٌّ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته، فناهيك بذلك غنيمة، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله؟»(٢).

والحمد هو: وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم، «والثناء تكرير المحامد وتثنيتها؛ فالحمد يتناول جنس المحامد، والثناء يقتضي تكريرها وتعديدها والزيادة في عددها، والمجد تعظيمها وتوسيعها والزيادة في قدرها وصفتها.

فهو سبحانه مستحق للحمد والثناء والمجد، ولا أحد يحسن أن يحمد كما يحمد نفسه، ولا يثني عليه كما يثني على نفسه، ولا يمجده كما يمجد نفسه»(٣).

والله تعالى يقول ذلك لِكُلِّ مُصَلٍّ قَرَأَ الْفَاتِحَةَ، لا تختلف عليه الأصوات، وما ذلك على الله بعزيز.

قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ الْعِبَادَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها، ص١٤٢. (٢) إحياء علوم الدين ١/ ١٦٧.
(٣) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ٤/ ١٦ ـ ١٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَهَذَا يَقُولُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِكُلِّ مُصَلٍّ قَرَأَ الْفَاتِحَةَ، فَلَوْ صَلَّى الرَّجُلُ مَا صَلَّى مِن الرَّكَعَاتِ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ، وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ يُصَلِّي مَنْ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ مَنْ لَا يُحْصِي عَدَدَهُ إِلَّا اللهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ اللهُ لَهُ كَمَا يَقُولُ لِهَذَا، كَمَا يُحَاسِبُهُمْ كَذَلِكَ، فَيَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَا يَقُولُ لَهُ مِن الْقَوْلِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَذَلِكَ سَمْعُهُ لِكَلَامِهِمْ، يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ كُلَّهُ مَعَ اخْتِلَافِ لُغَاتِهِمْ، وَتَفَنُّنِ حَاجَاتِهِمْ، يَسْمَعُ دُعَاءَهُمْ سَمْعَ إِجَابَةٍ، وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا يَقُولُونَهُ سَمْعَ عِلْمٍ وَإِحَاطَةٍ، لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَلَا تُغَلِّطُهُ الْمَسَائِلُ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ الْمُلِحِّينَ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا كُلَّهُ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُ هَذَا كُلَّهُ، وَهُوَ الَّذِي يُوَصِّلُ الْغِذَاءَ إِلَى كُلِّ جُزْءٍ مِن الْبَدَنِ عَلَى مِقْدَارِهِ وَصِفَتِهِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ، وَكَذَلِكَ مِن الزَّرْعِ. اهـ[١].

وحينما تقول بلسانك: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ قل بقلبك: الحمد كلُّه ياربي على نعمة العافية في أعضائي الخارجية، ولك الحمد على سلامة أعضائي الداخليّة، وعلى سلامة ديني من البدع والشهوات، وعلى نعمة الأمن وانشراح الصدر، وقد حُرم أكثر من في الأرض هذه النعم كلّها أو بعضها.

والله تعالى يُحب من العبد أن يحمده، فلذلك أَكْثر الله تعالى من حمد نفسه في كتابه؛ بل أخبر على لسان رسوله أنَّ الحمد لله «تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»[٢].

ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجلَّ المطالب،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٥/ ٤٧٩.
(٢) رواه مسلم (٢٢٣).

ونَيْلُه أشرف المواهب: علَّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمَده والثناء عليه وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم.

الأولى: توسلٌ إليه بأسمائه وصفاته، وهي قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

والثانية: توسل إليه بعبوديته وهي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

وهاتان الوسيلتان لا يكاد يُرد معهما الدعاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.اهـ[1].

ثم تأملْ كيف قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولم يقل: نعبدك، وقال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، ولم يقل: نستعين بك، وذلك لقصد الاختصاص والحصر، والمعنى: نَخُصُّكَ بالعبادة ونخصك بالاستعانة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: جاءَ مَأْثُورًا عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ، جَمَعَ عِلْمَهَا فِي الْأَرْبَعَةِ، وَجَمَعَ عِلْمَ الْأَرْبَعَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَجَمَعَ عِلْمَ الْقُرْآنِ فِي الْمُفَصَّلِ، وَجَمَعَ عِلْمَ الْمُفَصَّلِ فِي أُمِّ الْقُرْآنِ، وَجَمَعَ عِلْمَ أُمِّ الْقُرْآنِ فِي هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ الْجَامِعَتَيْنِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وَإِنَّ عِلْمَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ اجْتَمَعَ فِي هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ الْجَامِعَتَيْنِ».اهـ[2].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ١٤/٧، مدراج السالكين ١/٧٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ١٤/٧، مدراج السالكين ١/٧٨.

ثم إنَّ هذه الآية تُعالج مرضين خطيرين، وهما الرياء والكبر، فإذا قلت: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾؛ أي: لا نعبد ولا نتقرب إلا إليك سبحانك، ولا نصرف شيئًا من العبادة والطاعة لغيرك، وإذا قلت: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾؛ أي: أننا ضعفاء لا حول لنا ولا قوة إلا بك سبحانك، فإن لم تُعنّا على عبادتك فلن نقدر على أدائها، مهما أُوتينا من قوةٍ ونشاطٍ وعلم.

ثم قال الله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، فأنت تدعو في صلاتك كل يومٍ أنْ يُجنبك صراط الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، الذين عرفوا الحق وتركوه؛ كاليهود ونحوهم، وغير صراط الضَّالِّينَ، الذين تركوا الحق على جهل وضلال؛ كالنصارى ونحوهم.

«والْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ: هُم الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِخِلَافِهِ.

والضَّالُّونَ: الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

فَمَن اتَّبَعَ هَوَاهُ وَذَوْقَهُ وَوَجْدَهُ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ مِن الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم.

وَإِن كَانَ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ فَهُوَ مِن الضَّالِّينَ»[١].

«وكَانَ السَّلَفُ يَرَوْنَ أَنَّ مَن انْحَرَفَ مِن الْعُلَمَاءِ عَن الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم فَفِيهِ شَبَهٌ مِن الْيَهُودِ، وَمَن انْحَرَفَ مِن الْعُبَّادِ فَفِيهِ شَبَهٌ مِن النَّصَارَى»[٢].

وتأملْ كيف أضاف الله تعالى النعمة إليه في قوله: ﴿أَنۡعَمۡتَ

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١٠/ ٤٥٣.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١/ ٦٥.

عَلَيْهِمْ﴾، وحذف فاعل الغضب في قول ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل: غضبتَ عليهم، وفي حذف فاعل الغضب، من الإشعار بإهانة المغضوب عليه وتحقيره وتصغير شأنه، ما ليس في ذكر فاعل النعمة من إكرام المنعَم عليه، والإشادة بذكره ورفع قدره، ما ليس في حذفه.

وقد اشتملت سورةُ الفاتحة على شفاءَين: شفاءِ القلوب وشفاء الأبدان:

فأما اشتمالها على شفاء القلوب: فإنها اشتملت عليه أتم اشتمال، فإنَّ القلب له مرضان عظيمان، إنْ لم يتداركهما العبدُ ويجتنبْهُما، وإلا فإنّ مآلَه إلى التلف ولابد، وهما الرياء والكبر، فدواء الرياء بـ«إياك نعبد»، ودواء الكبر بـ«إياك نستعين».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكثيرًا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية يقول «إياك نعبد» تدفع الرياء، و«إياك نستعين» تدفع الكبرياء.اهـ[(١)].

فإذا قلت بلسانك: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فقل بقلبك: لا أعبد غيرك يا رب، ولن أخاف من غيرك، ولن أحبّ حُبًّا مُطلقًا سواك، ولن أرائي بأعمالي وأقوالي أحدًا من البشر.

وإذا قلت بلسانك: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ فقل بقلبك: استعانتي بك وتوكلّي عليك وحدك، فلن ألجأ عند الشدائد لغيرك، ولا أقوى على أموري كلّها صغيرِها وكبيرِها إلا إذا أعنتني، فقد تبرأت من حولي وقوتي وذكائي.

والرياء والعجب داءان عظيمان يجب الحذر والابتعاد عنهما

(١) مدراج السالكين ١/ ٥٤.
وكثيرٌ مِن هذه اللطائف مصدرُها هذا الكتاب القيّم.

بالدعاء والتضرع إلى الله ﷻ، وبعض الناس قد يقع في العجب وهو لا يشعر، فيقول ـ بلسان حاله ـ: أنا أفضل من غيري أو من فلان، أنا أصلي الليل وغيري نائم، أنا أصوم النفل وغيري لا يصوم، إلى غير ذلك من صور الإعجاب بالعمل، وهل ضمن هذا المُعجَبُ المسكينُ أنَّ الله قبل عمله؟

وقد انصرف عن الثناء على الله تعالى ورُؤيةِ مِنَّتِهِ، إلى الثناء على النفس التي لا فضل لها، والعجب يتعارض مع الانكسار والتذلل لله ﷻ.

وأما ما تضمنت من شفاء الأبدان، فقد ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيد الخدري رضي الله عنه أنه قَالَ: «انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَانْطَلَقَ أحدهم يَتْفُلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: **وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ**؟ ثُمَّ قَالَ: **قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْتَسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا**».

قال ابن القيم رحمه الله: فَقَدْ أَثَّرَ هَذَا الدَّوَاءُ فِي هَذَا الدَّاءِ، وَأَزَالَهُ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ، وَهُوَ أَسْهَلُ دَوَاءٍ وَأَيْسَرُهُ، وَلَوْ أَحْسَنَ الْعَبْدُ التَّدَاوِيَ بِالْفَاتِحَةِ، لَرَأَى لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي الشِّفَاءِ.

(١) البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

وَمَكَثْتُ بِمَكَّةَ مُدَّةً يَعْتَرِينِي أَدْوَاءٌ وَلَا أَجِدُ طَبِيبًا وَلَا دَوَاءً، فَكُنْتُ أُعَالِجُ نَفْسِي بِالْفَاتِحَةِ، فَأَرَى لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا، فَكُنْتُ أَصِفُ ذَلِكَ لِمَنْ يَشْتَكِي أَلَمًا، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَبْرَأُ سَرِيعًا. اهـ[(١)].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: القرآنُ كلُّه شفاءٌ، والفاتحةُ أعظمُ سُورةٍ فيه، فلها من خصوصيَّة الشِّفاءِ ما ليس لغيرِها، ولم يَزَل العارفون يتَداوَون بها من أسقامِهم، ويجدون تأثيرَها في البُرْءِ والشِّفَاءِ عاجلًا. اهـ[(٢)].

وسورة الفاتحة بالنسبة للقرآن كالخطبة، أو المقدمةِ بالنسبة للكتاب؛ والقرآن شرحٌ لها؛ ومعلومٌ أنه كلما كان صاحبُ الكتاب أعلمَ وأبلغ: كان تلخيصُه لمقاصد كتابه في مقدمته أكمل؛ هذا بالنسبة لكلام المخلوقين، الذين علَّمهم الله تبارك وتعالى من النطق والبيان بحسب حاجتهم وأهْلِيَّتِهِم؛ فكيف إذا كان الكتابُ كتابَ الله ربِّ العالمين، الذي هو بكل شيءٍ عليم، وعلى كل شيء قدير، ما ظنك بشأن السورة التي هي فاتحته وأمُّ مقاصده؟

❁ ❁ ❁

(١) زاد المعاد ١/ ٩.
(٢) تفسير الفاتحة لابن رجب؛ ص٢١.

الحكمة في وجوب قراءةِ سورةِ الفاتحة في كلّ صلاة وفي كلّ ركعةٍ

لعل من الحِكَم ما يلي:

أولًا: أنَّه صحّ أن قراءتها شفاءٌ للقلب والبدن، ورقيةٌ يُتداوى بها؛ فالْمُصلّي يرقي نفسه بها عدّةَ مراتٍ كلّ يوم، ويُداوي بها الوسواس والعين وقسوة القلب.

ثانيًا: أنّها اشتملت على ثلاثةِ أركانٍ اتَّفَقت عليها جميع الملل والشرائع:

الركن الأول: الثناءُ على الله تعالى وحمدُه وتمجيدُه بما هو أهلُه.

والله تعالى يُحب مِن العبد أنْ يمدحه ويُثني عليه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِك مَدَحَ نَفْسَهُ**»(١).

فأكثِرْ ـ جعلك الله مباركًا أينما كنت ـ مِن الثناء على الله تعالى في كلّ وقتٍ وكلّ حين، ولا يفترْ لسانك من ذلك.

الركن الثاني: إخلاصُ العبد لربِّه في عبادته واستعانته، ولا يصح إسلام العبد إلا بذلك.

فالواجب على المؤمن أن يتفقّد إخلاصَه لله في كلّ شؤونه، وأنْ يُجَدِّدَ إخلاصَه لله تعالى كلّ حين.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠).

الركن الثالث: طلبُه من ربّه الهداية إلى الطريق الواضح المؤدِّي إلى رضاه.

ومَن أكْثَرَ مِن طلبِ شيءٍ سَعَى في تحصيلِه، فكان لزامًا على مَن يطلب مِن الله تعالى في اليوم عدة مرات أنْ يهديه الصراط المستقيم أنْ يسعى سعيًا حثيثًا في معرفة الصرط المستقيم، وهو العلم التفصيليّ بالله وبصفاتِه ودينِه، والعمل بما عَلِمَه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِهَذَا كَانَ أَنْفَعُ الدُّعَاءِ وَأَعْظَمُهُ وَأَحْكَمُهُ: دُعَاءَ الْفَاتِحَةِ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فَإِنَّهُ إذَا هَدَاهُ هَذَا الصِّرَاطَ: أَعَانَهُ عَلَى طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ، فَلَمْ يُصِبْهُ شَرٌّ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

لَكِنَّ الذُّنُوبَ هِيَ مِن لَوَازِمِ نَفْسِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ مُحْتَاجٌ إلَى الْهُدَى فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَهُوَ إلَى الْهُدَى أَحْوَجُ مِنْهُ إلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ.

لَيْسَ كَمَا يَقُولُهُ طَائِفَةٌ مِن الْمُفَسِّرِينَ: إنَّهُ قَد هَدَاهُ، فَلِمَاذَا يَسْأَلُ الْهُدَى؟

وَأَنَّ الْمُرَادَ بِسُؤَالِ الْهُدَى: الثَّبَاتُ أَو مَزِيدُ الْهِدَايَةِ.

بَلِ الْعَبْدُ مُحْتَاجٌ إلَى:

١ ـ أَنْ يُعَلِّمَهُ رَبُّهُ مَا يَفْعَلُهُ مِن تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهِ، وَإِلَى مَا يَتَوَلَّدُ مِن تَفَاصِيلِ الْأُمُورِ فِي كُلِّ يَوْمٍ.

٢ ـ وَإِلَى أَنْ يُلْهَمَ أَنْ يَعْمَلَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكْفِي مُجَرَّدُ عِلْمِهِ إنْ لَمْ يَجْعَلْهُ اللهُ مُرِيدًا لِلْعَمَلِ بِعِلْمِهِ، وَإِلَّا كَانَ الْعِلْمُ حُجَّةً عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُن مُهْتَدِيًا.

٣ ـ وَالْعَبْدُ مُحْتَاجٌ إِلَى أَنْ يَجْعَلَهُ اللهُ قَادِرًا عَلَى الْعَمَلِ بِتِلْكَ الْإِرَادَةِ الصَّالِحَةِ.

فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مُهْتَدِيًا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ـ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِن النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ـ إِلَّا بِهَذِهِ الْعُلُومِ وَالْإِرَادَاتِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ. اهـ[1].

وكم مِن إنسان يعلم أن هذا الأمر نافع ومفيد، ويريد فعله، ولكنه لا يستطيع ذلك، إما لانشغاله، وإما لعجزه أو كسله وضعف همته، فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها الشيخ هي أساس التوفيق والهداية وعلو الهمة.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: فإنَّ المرادَ به ـ أي: الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم ـ: العملُ بما أمر الله به، وتركُ ما نهى الله عنه في جميع الأمور..

فإنَّ العمل في المستقبل بالعلم لم يحصل بعد، ولا يكون مهتديًا حتى يعمل في المستقبل بالعلم، وقد لا يحصل العلم في المستقبل بل يزول عن القلب، وإن حصل فقد لا يحصل العمل؛ فالناس كلهم مضطرون إلى هذا الدعاء؛ ولهذا فرضه الله عليهم في كل صلاة، فليسوا إلى شيء من الدعاء أحوج منهم إليه، وإذا حصل الهدى إلى الصراط المستقيم حصل النصر والرزق وسائر ما تطلب النفوس من السعادة. اهـ[2].

فلن تكون مهتديًا للصراط المستقيم حتى تطلب العلم الشرعيّ لله تعالى، وأنْ تعزم العزم الأكيد على العمل به، ونشرِه وتبليغِه.

وإذا فعلت ذلك: دلّ على أنك صادقٌ مع ربّك في سؤال له أن يهديك صراطه المستقيم.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ١٤/٣١٩ ـ ٣٢١.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ١٠/١٠٦ ـ ١٠٩.

وإنّ كنت لا تُبالي بطلب العلم الذي ترفع به الجهل عن نفسك، ولا بالعمل الذي تتقرّب به إلى ربّك: فجدِّدْ علاقتَك مع ربّك ﷻ، وتفقَّد إيمانك، واعملْ على صلاحِ قلبِك.

* * *

ثم اشرع ـ **أخي الكريم** ـ في قراءة ما تيسر من القرآن، متمهّلًا مُترَسِّلًا مُتدبِّرًا.

مشروعيّة الإنصات في الصلاة الجهريّة

إذا كنت مأمومًا ـ أخي المصلي ـ وإمامك يجهر بالقراءة: فلا تقرأ معه؛ بل أَنْصِت وتدبّرْ ما يتلو من القرآن، وخاصةً إذا كان يقرأ سورة الفاتحة، فقد علمتَ فضلها ومكانتها؛ فإنك إذا قرأت معه فلن تستفيد من قراءتك ولا من قراءة إمامك؛ لأنك ستكون مشوش الذهن بصوت الإمام، وستُفوِّتُ على نفسك تدبر القرآن والإنصات له.

«ولا يعقل البتة أنْ يجهر الإمامُ وينشغل المأموم بالقراءة عن الإصغاء والاستماع إليه»[1].

وإنما شُرع للإمام أنْ يجهر بالقراءة لأجل أنْ يَسْمع مَن وارءه كلامَ الله تعالى ويخشعوا له.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّها نَزَلَتْ فِي الصَّلَاةِ[2]، وَأَنَّ الْقِرَاءَةَ فِي الصَّلَاةِ مُرَادَةٌ مِن هَذَا النَّصِّ.

---

(١) إرواء الغليل للعلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٢/ ٢٨٣.

(٢) قال أبو داود تلميذُ الإمام أحمد في كتابه (مسائل الإمام أحمد ص٤٨): سَمِعْتُ أَحْمَدَ قِيلَ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا قَالَ: قِرَاءَةُ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ ـ يَعْنِي خَلْفَ الْإِمَامِ ـ مَخْصُوصٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾.
فَقَالَ: عَمَّنْ يَقُولُ هَذَا؟! أَجْمَعَ النَّاسُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي الصَّلَاةِ.اهـ.
وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلِأَنَّهُ إِجْمَاعٌ، فَإِنَّهُ إِجْمَاعٌ، قَالَ (الإمام) أَحْمَدُ: مَا سَمِعْنَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَقُولُ: إِنَّ الْإِمَامَ إِذَا جَهَرَ بِالْقِرَاءَةِ لَا تُجْزِئُ صَلَاةُ مَنْ خَلْفَهُ إِذَا =

وَلِهَذَا كَانَ أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ فِي الْقِرَاءَةِ خَلْفَ الْإِمَامِ: أَنَّ الْمَأْمُومَ إِذَا سَمِعَ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ يَسْتَمِعُ لَهَا وَيُنْصِتُ، لَا يَقْرَأُ بِالْفَاتِحَةِ وَلَا غَيْرِهَا، وَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ قِرَاءَتَهُ بِهَا يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ وَمَا زَادَ، وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ(١)، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ وَأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَجُمْهُورِ أَصْحَابِهِ. .

فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ مَعَ جَهْرِ الْإِمَامِ مُنْكَرٌ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ عَامَّةُ الصَّحَابَةِ.

وَعَلَى هَذَا فَاسْتِمَاعُهُ لِقِرَاءَةِ إِمَامِهِ بِالْفَاتِحَةِ يَحْصُلُ لَهُ بِهِ مَقْصُودُ الْقِرَاءَةِ وَزِيَادَةٌ تُغْنِي عَنِ الْقِرَاءَةِ مَعَهُ الَّتِي نُهِيَ عَنْهَا. اهـ(٢).

وَقَد ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» مِن حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا**»(٣).

«فَقَد أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِالإِنصَاتِ لِلْإِمَامِ إِذَا قَرَأَ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ مِن جُمْلَةِ الائْتِمَامِ بِهِ، فَمَن لَمْ يُنْصِتْ لَهُ لَمْ يَكُن قَد ائْتَمَّ بِهِ»(٤).

= لَمْ يَقْرَأْ، وَقَالَ: هَذَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَالتَّابِعُونَ، وَهَذَا مَالِكٌ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ، وَهَذَا الثَّوْرِيُّ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَهَذَا الْأَوْزَاعِيُّ فِي أَهْلِ الشَّامِ، وَهَذَا اللَّيْثُ فِي أَهْلِ مِصْرَ، مَا قَالُوا لِرَجُلٍ صَلَّى خَلْفَ الْإِمَامِ وَقَرَأَ إِمَامُهُ وَلَمْ يَقْرَأْ هُوَ: صَلَاتُهُ بَاطِلَةٌ. اهـ. [المغني ١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥].

(١) جمهور العلماء من الحنفية، والمالكية، والحنابلة، والظاهريّة، وأحد قولَي الشافعيّ: أنّ المشروع للمأموم الإنصات إذا قرأ الإمام، ويسقط عنه وجوب قراءة الفاتحة. المبسوط للسرخسي ١/ ١٩٩، المفهم للقرطبي ٢/ ٣٩، المغني لابن قدامة ١/ ٤٠٤، الأم للشافعي ١/ ١٢٩، المحلى لابن حزم ٣/ ٢٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ١٨/ ٢١، ٢٢، ٣٤٢.

(٣) رواه مسلم (٨٤٦).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ٢٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٧.

وَقد ذهب جُمْهُورُ العلماءُ إلى أنّه لَا يُسْتَحبُّ لِلْإِمَام أَنْ يَسْكُتَ لِيَقْرَأ الْمَأْمُومُ(١) ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ قِرَاءَةَ الْمَأْمُوم عِنْدَهُم إذَا جَهَرَ الْإِمَامُ لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ وَلَا مُسْتَحَبَّةٍ؛ بل هِيَ مَنْهِيٌّ عَنْهَا.

«والثابت في الأحاديث سكتتان:

إحداهما: بعد التكبيرة الأولى، وهذه تسمى سكتة الاستفتاح.

والثانية: عند آخر القراءة قبل أنْ يركع الإمام، وهي سكتةٌ لطيفةٌ تفصل بين القراءة والركوع.

وروي سكتةٌ ثالثة بعد قراءة الفاتحة، ولكنَّ الحديث فيها ضعيف، وليس عليها دليل واضح؛ فالأفضل تركها»(٢).

والإمام قد يسكت أحيانًا، ومع ذلك «لَمْ يَسْتَحِبَّ الإمامُ أَحْمَد وَجُمْهُورُ أَصْحَابِهِ قِرَاءَتَهُ فِي سَكَتَاتِ الْإِمَامِ، إلَّا أَنْ يَسْكُتَ سُكُوتًا بَلِيغًا يَتَّسِعُ لِلِاسْتِفْتَاحِ وَالْقِرَاءَة».

وَأَمَّا إذا لم يَتَّسِعْ إلا لواحدٍ منهما: إما أنْ يقرأ دعاء الاسْتِفْتَاحِ وَإما أن يقرأ سورةَ الفاتحة: فدُعاءُ الِاسْتِفْتَاحِ أَوْلَى مِنَ قِرَاءَةِ سورة الفاتحة؛ لِأَنَّ اسْتِمَاع المأموم لقراءة الإمام يكفي ويُغني عن قراءته لنفسِه؛ بل «إِنَّ الْمُسْتَمِعَ الْمُنْصِتَ قَارِئٌ؛ بل أَفْضَلُ مِنَ الْقَارِئِ لِنَفْسِهِ»(٣).

= وأما حديث: «لَعَلَّكُمْ تَقْرَءُونَ خَلْفَ إِمَامِكُمْ» قالوا: نَعَمْ هَذًّا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**لَا تَفْعَلُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا**»: فقد ضعّفه بعض العلماء، كالعلامة الألبانيّ رحمه الله. [ضعيف أبي داود ١/ ٨٢٣].

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن سكوت الإمام بعد قراءة الفاتحة: بِدْعَةٌ. [مجموع الفتاوى ٢٣/ ٢٧٩].

(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله ١١/ ٨٤.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢٣/ ٢٩٤.

وهذا بِخِلَافِ دُعاء الِاسْتِفْتَاحِ.

وحينئذ يكون قد أتى بالصلاة على ترتيبها المشروع حسبما أُمر به[١].

فَإِذَا كَانَ الْإِمَامُ مِمَن يَسْكُتُ بعد الْفَاتِحَةِ سُكُوتًا يَتَّسِعُ لِلْقِرَاءَةِ: فَالْقِرَاءَةُ فِيهِ أَفْضَلُ مِن عَدَمِ الْقِرَاءَةِ بلا شكّ.

«والْقِرَاءَةُ بِغَيْرِ الْفَاتِحَةِ أَفْضَلُ؛ فَإِنَّهُ لَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ المأمومُ بِهَا مَعَ اسْتِمَاعِهِ قِرَاءَتَهَا.

وَلَو لَمْ يَسْكُتِ الْإِمَامُ سُكُوتًا يَتَّسِعُ لِذَلِكَ، أَو لَمْ يُدْرِكْ سُكُوتَهُ: فلا يَسْتَفْتِحُ وَلا يَسْتَعِيذُ مَعَ جَهْرِ الْإِمَامِ؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالإنصات وَالِاسْتِمَاعِ»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) وهذا هو الذي رجّحه العلامةُ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ. [مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٣/ ١١٢].

(٢) يُنظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٢/ ٣٣٨ ـ ٣٤١.
وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر قول من قال بوجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة الجهريّة: فَإِنَّهُ شاذٌّ، حَتَّى نَقَلَ أَحْمَدُ الْإِجْمَاعَ عَلَى خِلَافِهِ.اهـ.
مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ٢٣/ ٢٨٤

الركوعُ وما فيه من المعاني اللطيفة

ثم جدِّد عند الركوع ذكر كبرياء الله سبحانه بقولك: الله أكبر، وارفع يديك مستجيرًا بعفوه ﷻ من عقابه، ثم انحنِ له ذلًا وتواضعًا، وتحية وتعظيمًا له، واطمئن في ركوعك.

وهيئةُ الركوع هيئةُ تعظيم وتبجيل، فناسب أن تسبح ربك العظيم.

فاستشعر هيبةَ مَن تركع له.

واجتهد في ترقيق قلبك، وتجديد خشوعك، واستعن على تقرير ذلك في قلبك بلسانك، فسبح ربَّك واشهد له بالعظمة، وأنه أعظم من كل عظيم.

وهناك صيغ للركوع صحّت عن النبيّ ﷺ، فاحرص على الإتيان بها، ومنها:

١ ـ «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[(١)].

٢ ـ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[(٢)].

٣ ـ «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٤٨٧).
(٢) رواه البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤).
(٣) رواه مسلم (٧٧١).

أي: أخذ كلُّ عضوٍ من هذه الأعضاء حظّه من الخضوع والتذلُّل، فسكنت وافتقرت وانقادت إليك.

فجوارحي كلّها ذليلةٌ لك، لا أسمع ولا أُبصر ولا أتحرك وأفكّر إلا بما تُحبّه وترضاه.

فما ألطف هذا الدعاء!

ولا يُكذّب فعلُك قولَك، فكن صادقًا مع الله تعالى في قولك وفعلك وعزيمتِك.

٤ ـ «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»(١).

٥ ـ «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ»(٢).

❁ ❁ ❁

(١) رواه أبو داود (٨٧٣)، وصححه الألبانيّ في صحيح أبي داود.

(٢) رواه مسلم (٤٨٥).

يَتَعَيَّـنُ في ذكرِ الركوع والسجود التَّسْبِيحُ، دون الْتزامِ صيغةٍ مُعيّنة، ولا يُستحبُّ الْجَمْعُ بَيْنَ صِيغَتَيْ تَسْبِيحٍ

اعلم أنّه لا يَتَعَيَّنُ أنْ تقول في ركوعك: «سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ» ولا في سجودك: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى».

«وَالْأَقْوَى أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ التَّسْبِيحُ، إمَّا بِلَفْظِ «سُبْحَانَ» وَإِمَّا بِلَفْظِ «سُبْحَانَك» وَنَحْوِ ذَلِك.

وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ سَمَّى الصَّلَاةَ تَسْبِيحًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾، فَدَلَّ عَلَى وُجُوبِ التَّسْبِيحِ فِيهَا، وَقَد بَيَّنَت السُّنَّةُ أَنَّ مَحَلَّ ذَلِكَ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، كَمَا أَنَّهُ لَمَّا سَمَّاهَا قِيَامًا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ دَلَّ عَلَى وُجُوبِ الْقِيَامِ، وَكَذَلِكَ لَمَّا سَمَّاهَا قُرْآنًا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ دَلَّ عَلَى وُجُوبِ الْقُرْآنِ فِيهَا، وَلَمَّا سَمَّاهَا رُكُوعًا وَسُجُودًا فِي مَوَاضِعَ دَلَّ عَلَى وُجُوبِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فِيهَا»[1].

ولا تجمع هذه الأذكار في ركوع واحد؛ بل اجعل لكلّ ركوع نوعًا منها.

«وَالْجَمْعُ بَيْنَ صِيغَتَيْ تَسْبِيحٍ بَعِيدٍ، بِخِلَافِ الْجَمْعِ بَيْنَ التَّسْبِيحِ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ١٦/ ١١٥.

وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالدُّعَاءِ، فَإِنَّ هَذِهِ أَنْوَاعٌ، وَالتَّسْبِيحَ نَوْعٌ وَاحِدٌ، فَلَا يُجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ صِيغَتَيْنِ»[١].

والنبيُّ ﷺ لم يكن يجمع بين قوله: سبحان ربي الأعلى في السجود أو سبحان ربي العظيم في الركوع، وبين التسبيحات الأخرى الثابتة عنه، مثل: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، ومثل: سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ.

وأما حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤]، قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١]، قَالَ: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**». فقد ضعفه العلامة الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ[٢].

❁ ❁ ❁

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ٢٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥١.

(٢) في ضعيف أبي داود: (١٥٢)، والإرواء ٢/ ٤١.

الرفع من الركوعِ وشرحُ الذكر الوارد فيه

ثم ارفع من ركوعك، راجيًا رحمتَه لك، ومؤكدًا للرجاء في نفسك بقولك إن كنت إمامًا أو منفردًا: (سمع الله لمن حمده)؛ أي: «اسْتِجَابَ اللهُ لِمَن حَمِدَهُ؛ أَيْ: قَبِلَ مِنْهُ»[(١)]، يُقالُ: فُلانٌ يَسْمعُ لِفُلانٍ؛ أيْ: يَسْتَجِيبُ لَهُ وَيَقبل منه.

ثم قل: (رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ)[(٢)]، واسْتشعر نعم الله عليك، فاحمده أنْ جعلك ممن يركع له طوعًا وحبًّا ورغبةً لا كرهًا، فهناك الكثير من الناس لا يركعون لله كبرًا وغرورًا، أو جهلًا منهم لبعدهم عن الإسلام.

وهذا الثناء له فضلٌ عظيم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِذَا قَالَ الإِمَامُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢٨/ ١٩٤.
(٢) وهذه الصيغة لها أربع صفات:
الصفة الأولى: رَبَّنا ولك الحمدُ. [أخرجه البخاري (٧٣٢)، ومسلم (٤١١) (٧٧)].
الصفة الثانية: رَبَّنا لك الحمدُ. [أخرجه البخاري (٧٨٩)].
الصفة الثالثة: اللَّهُمَّ رَبَّنا لك الحمدُ. [أخرجه البخاري (٧٩٦)، ومسلم (٤٠٩) (٧١)].
الصفة الرابعة: اللَّهُمَّ رَبَّنا ولك الحمدُ. [أخرجه البخاري (٧٩٥)].
وكلُّ واحدةٍ من هذه الصِّفات مجزئة، ولكن الأفضل أن يقول هذا أحيانًا، وهذا أحيانًا.
(٣) رواه البخاري (٧٩٦).

ثم زد في الشكر والثناء فقل: (حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ).

أي: أخصّك وحدك بالحمد المبارك الكثير، الطيب، وهو الخالصُ لله تعالى، السَّالمُ من الرياء والسمعة، فإن الله طيّبٌ لا يقبل إلا طيّبًا.

وهذا في غاية الثناء على رب العالمين، ولذلك حينما صلى النَّبِيُّ ﷺ ذات مرّة، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ بعدما رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ: «**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ**»، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «**مَنِ المُتَكَلِّمُ**» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**»(١).

ثم زد أكثر من ذلك لعلك توفي شيئًا من نعم الله عليك، ومنّتِه عليك، وقل: «مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»؛ أي: أحمدك يا رب حمدًا يملأ الكون كلّه، و«قدر ملء العالم العلوي والسفلي والفضاء الذي بينهما، فهذا الحمد قد ملأ الخلق الموجود، وهو يملأ ما يخلقه الرب تبارك وتعالى بعد ذلك ما يشاؤه، فحمده قد ملأ كلَّ موجود وملأ ما سيوجد»(٢).

ثم زدْ في الثناء فقل: «أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أحقُّ ما قال العبدُ، وكلّنا لك عبد، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٧٩٩)، ومسلم (٦٠٠).

(٢) الصلاة وأحكام تاركها لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ص١٤٦.

(٣) دعاء الرفع من الركوع هذا رواه مسلم (٤٧٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دون قول: «حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ»، فقد رواها البخاري (٧٩٩)، من حديث رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، أنّ رجلًا قالها فأقره عليها النبي ﷺ.

وهذا يتضمن أمورًا:

أحدها: أنه المنفرد بالعطاء والمنع.

الثاني: أنه إذا أعطى لم يقدر أحدٌ منع مَن أعطاه، وإذا منع لم يقدر أحدٌ إعطاء مَن منعه.

الثالث: أنه لا ينفع عنده ولا ينجو مِن عذابه حظوظُ بني آدم من الملك والرئاسة والغنى وطيب العيش وغير ذلك، إنما ينفعهم عنده التقرب إليه بطاعته وإيثار مرضاته[١].

ومعنى: أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ: «أي الْحَمْدُ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، فَفِيهِ أَنَّ الْحَمْدَ أَحَقُّ مَا قَالَهُ الْعَبْدُ، وَلِهَذَا وَجَبَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ»[٢].

وتأمل جمال هذا التعبير: «أهلَ الثناء والمجد»،[٣] فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَهْلُ الثناء والمجد، وَلَمْ يَقُلْ: أَهْلٌ للثناء وللمجد؛ بل قَالَ أهل الثناء والمجد، فَهُوَ وَحْدَهُ أَهْلٌ أَنْ يُثنى عليه ويُمجّد وحده دُونَ مَا سِوَاهُ، وَلَا يَسْتَحِقُّ غَيْرُهُ أَنْ يُثنى عليه ثناءً مُطلقًا، ولا أَنْ يُمجّد تمجيدًا مُطلقًا[٤].

«واشتمل هذا الركن على أفضل الأذكار، وأنفع الدعاء، من حمده وتمجيده والثناء عليه، والاعتراف له بالعبودية والتوحيد، فهو ذكر مقصود في ركن مقصود، ليس بدون الركوع والسجود»[٥].

(١) يُنظر: الصلاة وأحكام تاركها لابن القيم رحمه الله ص١٤٧.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٨/ ٢١٢.
(٣) أي: يا أهلَ الثناء والمجد، فهو منادى مضاف حُذِف حرفُ ندائه.
(٤) فإذا قلت: فلان أهلٌ للكرم، فهذا ليس فيه كمال المدح له، وليس هو أكرمهم، ولكن إذا قلت: هو أهل الكرم، فقد بالغت في مدحه، حيث جعلت الكرم مُختصًّا به.
(٥) الصلاة وأحكام تاركها لابن القيم رحمه الله، ص١٤٧.

ونوِّع في ذكر الاعتدال مِن الركوع بما صح عن النبي ﷺ، ومنها:

١ ـ «لِرَبِّيَ الْحَمْدُ، لِرَبِّيَ الْحَمْدُ» فقد صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كان يقولُه ويُكَرّره[١].

٢ ـ «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَالْمَاءِ الْبَارِدِ اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ»[٢].

(١) رواه أبو داود (٨٧٤)، والنسائي (١٠٦٩)، وصححه ابن القيم رحمه الله، زاد المعاد ١/٢١٣.
(٢) رواه مسلم (٣٥٤) عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه.

السّجودُ وما فيه من المعاني اللطيفة

ثم اسجد بسكينة، ومرِّغ وجهك في الأرض، تذللًا وخضوعًا للملك سبحانه.

«وهو أعلى درجات الاستكانة، فمكِّن أعز أعضائك ـ وهو الوجه ـ من أذل الأشياء، وهو التراب.

وإذا وضعت نفسك موضع الذل، فاعلم أنك وضعتها موضعها، ورَدَدْتَ الفرع إلى أصله، فإنك من التراب خلقت، وإليه تعود، فعند هذا جَدِّد على قلبك عظمة الله وقل: (سبحان ربي الأعلى) وأكِّدْه بالتكرار»[(١)].

وبما أنَّ هذه الهيئة هيئة تذلُّل ناسب أنْ تدعو الله فيها، ولهذا أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وأفضل الأحوال له حالٌ يكون فيها أقربَ إلى الله ﷻ، ولهذا كان الدعاء في هذا المحلِّ أقربَ إلى الإجابة.

وقل وأنت ضاغطٌ على أنفك في الأرض: سبحان ربي الأعلى، أنا الأدنى وربي الأعلى، أنفي ووجهي في الدُّنوّ وربي في العلوّ، جبهتي على الأرض، وربي على العرش.

استشعر علو الله تعالى وأنت تضع أنفك وجبهتك على الأرض ضاغطًا عليهما مبالغةً في التذلل له سبحانه.

(١) إحياء علوم الدين ١/ ١٦٩.

وإذا رأى الشيطان ابن آدم ساجدًا لله اعتزل ناحيةً يبكي ويقول: «يَا وَيْلِي! أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»(١).

«والسجود سرُّ الصلاة وركنُها الأعظم، وخاتمةُ الركعة، وما قبله مِن الأركان كالمقدِّمات له»(٢).

ولَمَّا كان السجود غايةَ الذلّ والخضوع للمعبود سبحانه: كان من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى، قال مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ، أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ، فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فقال: **«عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً إلا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»** قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: لِي مِثْلَ مَا قَالَ ثَوْبَانُ(٣).

وَعَنْ رَبِيعَةَ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: **«سَلْ»** فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: **«أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟»** قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: **«فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»**(٤).

وأحبُّ الناس إلى الله أشدّهم له عبودية وذلًا، «وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رضي الله عنه يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، فَلْيَلْزَمْ عَتَبَةَ الْعُبُودِيَّةِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: لَا طَرِيقَ أَقْرَبُ إِلَى اللهِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، وَلَا

---

(١) رواه مسلم (٨١).

(٢) الصلاة وأحكام تاركها لابن القيم رحمه الله، ص١٤٩.

(٣) رواه مسلم (٤٨٨). (٤) رواه مسلم (٤٨٩).

حِجَابَ أَغْلَظُ مِنَ الدَّعْوَى، وَلَا يَنْفَعُ مَعَ الْإِعْجَابِ وَالْكِبْرِ عَمَلٌ وَاجْتِهَادٌ، وَلَا يَضُرُّ مَعَ الذُّلِّ وَالِافْتِقَارِ بَطَالَةٌ؛ يَعْنِي: بَعْدَ فِعْلِ الْفَرَائِضِ.

وَالْقَصْدُ: أَنَّ هَذِهِ الذِّلَّةَ وَالْكَسْرَةَ الْخَاصَّةَ تُدْخِلُهُ عَلَى اللهِ، وَتَرْمِيهِ عَلَى طَرِيقِ الْمَحَبَّةِ، فَيُفْتَحُ لَهُ مِنْهَا بَابٌ لَا يُفْتَحُ لَهُ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَإِنْ كَانَتْ طُرُقُ سَائِرِ الْأَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ تَفْتَحُ لِلْعَبْدِ أَبْوَابًا مِنَ الْمَحَبَّةِ، لَكِنَّ الَّذِي يَفْتَحُ مِنْهَا مِنْ طَرِيقِ الذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ وَالِافْتِقَارِ وَازْدِرَاءِ النَّفْسِ، وَرُؤْيَتِهَا بِعَيْنِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ وَالْعَيْبِ وَالنَّقْصِ وَالذَّمِّ، بِحَيْثُ يُشَاهِدُهَا ضَيْعَةً وَعَجْزًا، وَتَفْرِيطًا وَذَنْبًا وَخَطِيئَةً، نَوْعٌ آخَرُ وَفَتْحٌ آخَرُ، وَالسَّالِكُ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ غَرِيبٌ فِي النَّاسِ، وَهُمْ فِي وَادٍ وَهُوَ فِي وَادٍ، وَهِيَ تُسَمَّى طَرِيقَ الطَّيْرِ، يَسْبِقُ النَّائِمُ فِيهَا عَلَى فِرَاشِهِ السُّعَاةَ، فَيُصْبِحُ وَقَدْ قَطَعَ الطَّرِيقَ، وَسَبَقَ الرَّكْبَ»[١].

وكان وصفُ الربّ تعالى بالعلوّ في هذه الحال في غاية المناسبة لحال الساجد، الذي خرّ إلى الأسفل على وجهه، فذكر علوَ وارْتفاعَ ربه في حال هُبُوطه.

«وَذَلِكَ أَنَّ السُّجُودَ غَايَةُ الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ مِنَ الْعَبْدِ، وَغَايَةُ تَسْفِيلِهِ وَتَوَاضُعِهِ بِأَشْرَفِ شَيْءٍ فِيهِ للهِ ـ وَهُوَ وَجْهُهُ ـ، بِأَنْ يَضَعَهُ عَلَى التُّرَابِ، فَنَاسَبَ فِي غَايَةِ سُفُولِهِ أَنْ يَصِفَ رَبَّهُ بِأَنَّهُ الْأَعْلَى.

فَلَمَّا كَانَ السُّجُودُ غَايَةَ سُفُولِ الْعَبْدِ وَخُضُوعِهِ: سَبَّحَ اسْمَ رَبِّهِ الْأَعْلَى، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْأَعْلَى، وَالْعَبْدُ الْأَسْفَلُ، كَمَا أَنَّهُ الرَّبُّ، وَالْعَبْدُ الْعَبْدُ، وَهُوَ الْغَنِيُّ، وَالْعَبْدُ الْفَقِيرُ، وَلَيْسَ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ إِلَّا مَحْضُ

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠.

الْعُبُودِيَّةِ، فَكُلَّمَا كَمَّلَهَا قَرُبَ الْعَبْدُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ بَرٌّ جَوَادٌ مُحْسِنٌ، يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُنَاسِبُهُ، فَكُلَّمَا عَظُمَ فَقْرُهُ إِلَيْهِ كَانَ أَغْنَى، وَكُلَّمَا عَظُمَ ذُلُّهُ لَهُ كَانَ أَعَزَّ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ ـ لِمَا فِيهَا مِن أَهْوَائِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ وَتَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ لَهَا ـ تَبْعُدُ عَن اللهِ حَتَّى تَصِيرَ مَلْعُونَةً بَعِيدَةً مِن الرَّحْمَةِ»[(١)].

كما أنّ مِن تمام المناسبة أنْ تَذكرَ عظمَة الله جلّ في علاه في حال خضوعِك في ركوعِك، وتُنَزِّهَهُ جلّ ثناؤه عمَّا لا يليق به مما يضادّ عظمته وعُلُوَّه وارتفاعَه.

وهناك صيغ للسّجود صحّت عن النبيّ ﷺ، فاحرص على الإتيان بها، ومنها:

١ ـ «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[(٢)].

٢ ـ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[(٣)].

٣ ـ «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي»[(٤)].

٤ ـ «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»[(٥)].

٥ ـ «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لا إِلَٰهَ إِلا أَنْتَ»[(٦)].

وأَكْثِرْ في السجود مِن الدعاء، فهو من المواضع التي تُرجى فيها الإجابة، فقد ثبت عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ٥/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨.
(٢) رواه مسلم (٤٨٧).
(٣) رواه البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤). (٤) رواه مسلم (٧٧١).
(٥) رواه أبو داود (٨٧٣)، وصححه الألبانيّ في صحيح أبي داود.
(٦) رواه مسلم (٤٨٥).

«أَلا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ - أي: جديرٌ وحريٌّ - أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

وأفضل الأدعية ما كان يدعو بها رَسُولُ اللهِ ﷺ، ومما صح عنه:

١ - «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[١].

٢ - «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»[٢].

---

(١) رواه مسلم (٤٨٦).
(٢) رواه مسلم (٤٨٣).

الجلوسُ بين السّجودِ وما فيه من المعاني اللطيفة

ثم اقعد بعد السجود قعود العبد الذليل جاثيًا على ركبتيه كهيئة الملقي نفسه بين يدي سيده راغبًا راهبًا معتذرًا إليه.

وادْع بإلحاح: «ربّ اغْفر لي، وارحمني، وارزقني، واهدني، واجْبرني، وعَافِنِي، وارفعني»[(١)].

واعلم أنَّ سؤال الله باسم الرب له مذاقٌ عجيب، وطعم رهيب، فأنت تقول بإلحاح وتُناديه وتُناجيه: رب، رب، رب، اغفر لي ذنوبي بأنْ تسترها عليّ ولا تفضحني، وتتجاوز عن مؤاخذتي بها، وارحمني وتغمّدني برحمتك فلا راحم لي سواك، وارزقني من واسع جودك، واهدني ودلّني إلى صراطك المستقيم، وأصلح خللي ونقصي، وعَافِنِي في ديني وبدني، وارفعني بالعلم النافع والعمل الصالح والذكر الحسن.

«فالرحمةُ تُحَصِّل الخير، والمغفرةُ تَقِي الشر، والهدايةُ تُوصل إلى هذا وهذا، والرزق إعطاء ما به قِوام البدن من الطعام والشراب، وما به قِوام الروح والقلب من العلم والإيمان.

وجُعِل جلوسُ الفصل محلًا لهذا الدعاء؛ لما تقدَّمه من رحمةِ الله، والثناء عليه، والخضوع له، فكان هذا وسيلةً للداعي، ومقدمةً بين يدي حاجته، فهذا الركن مقصودٌ الدعاءُ فيه، فهو ركنٌ وُضِع للرغبة، وطلب العفوِ والمغفرة والرحمة»[(٢)].

---

(١) صفة الصلاة للألبانيّ، ص١٥٣.

(٢) الصلاة وأحكام تاركها، ص٥٢.

فأيّ دعاء أجمع من هذا الدعاء؟ وأيّ وضع أنسب له من هذا الوضع؟

وإذا قلت: ربّ اغفر لي، فكن صادقًا في طلبك، واعزم وأنت تقول ذلك على ترك كلّ ذنبٍ وقعت فيه، وإصلاح كلّ طاعةٍ قصّرت فيها.

ولو أنك قصَّرت أو أخطأت مع أحدٍ ممن أنْعَم عليك مِن الناس، وله منصبٌ ومكانةٌ عندك وعند غيرك، ثم مررت مِن عنده وقلتَ على عجل: سامحني على خطئي، أو اغْفِرْ ما بَدَر منّي: لعُدّ فعلُك هذا سوء أدب، وعدم مُبالاة وجدّ في طلب المسامحة، فكذلك الحال ـ ولله المثل الأعلى ـ عندما تقول: «أستغفر الله، أو رب اغفر لي»، على عجل وشرود ذهن، وسرْد لطلب المغفرة والمسامحة من الله تعالى على ذنوب كثيرة عظيمة، فإنّ صنيعَكَ هذا يُعدّ مِن سوء الأدب مع الله تعالى، وعدم جدّ في طلبك واستغفارِك.

«والِاسْتِغْفَارُ يَرْفَعُ الْعَبْدَ مِن الْمَقَامِ الْأَدْنَى إلَى الْأَعْلَى مِنْهُ وَالْأَكْمَلِ؛ فَإِنَّ الْعَابِدَ للهِ وَالْعَارِفَ بِاللهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ؛ بَل فِي كُلِّ سَاعَةٍ؛ بَل فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، يَزْدَادُ عِلْمًا بِاللهِ وَبَصِيرَةً فِي دِينِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، بِحَيْثُ يَجِدُ ذَلِكَ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَنَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ وَقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَيَرَى تَقْصِيرَهُ فِي حُضُورِ قَلْبِهِ فِي الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ، وَإِعْطَائِهَا حَقَّهَا، فَهُوَ يَحْتَاجُ إلَى الِاسْتِغْفَارِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ؛ بل هُوَ مُضْطَرٌّ إلَيْهِ دَائِمًا فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ، فِي الغوائب وَالْمَشَاهِدِ؛ لِمَا فِيهِ مِن الْمَصَالِحِ وَجَلْبِ الْخَيْرَاتِ وَدَفْعِ الْمَضَرَّاتِ، وَطَلَبِ الزِّيَادَةِ فِي الْقُوَّةِ فِي الْأَعْمَالِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ الْيَقِينِيَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ»(١).

بل اعقد العزم على التوبة من طاعاتك وعباداتك، «وتَوْبَةُ الْإِنْسَانِ مِن حَسَنَاتِهِ عَلَى أَوْجُهٍ:

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١١/ ٦٩٦.

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَتُوبَ وَيَسْتَغْفِرَ مِن تَقْصِيرِهِ فِيهَا.

وَالثَّانِي: أَنْ يَتُوبَ مِمَّا كَانَ يَظُنُّهُ حَسَنَاتٍ وَلَمْ يَكُنْ، كَحَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ.

وَالثَّالِثُ: يَتُوبُ مِن إِعْجَابِهِ وَرُؤْيَتِهِ أَنَّهُ فَعَلَهَا وَأَنَّهَا حَصَلَتْ بِقُوَّتِهِ وَيَنْسَى فَضْلَ اللهِ وَإِحْسَانَهُ وَأَنَّهُ هُوَ الْمُنْعِمُ بِهَا وَهَذِهِ تَوْبَةٌ مِن فِعْلٍ مَذْمُومٍ وَتَرْكِ مَأْمُورٍ.

وَهَذَا مِمَّا يُبَيِّنُ احْتِيَاجَ النَّاسِ إِلَى التَّوْبَةِ دَائِمًا»[١].

فقد جمع هذا الذكرُ خيري الدنيا والآخرة، ودفع شري الدنيا والآخرة، واشتمل على طلب المغفرة من الله تعالى، ومن سأل الله المغفرة بصدق غفر له كلّ ذنوبه.

ولذلك كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يُعَلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ هذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**». رواه مسلم[٢].

وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**»، ثم يَضمّ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ ويقول: «**فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ**». رواه مسلم[٣].

فهل يليق بهذا الدعاء العظيم أنْ تَسْرُدَه سَرْدًا! دون أنْ تقولَه بصيغة المفتقرِ السائل المحتاج الْمُلِحّ على ربه بأنْ يُجيب دعاءه هذا؟

❁ ❁ ❁

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ١١/ ٦٨٦ ـ ٦٨٨.
(٢) (٢٦٩٧).
(٣) (٢٦٩٧).

تكريرُ أركان الصلاةِ مرة بعد مرة

«من حكمةِ الله تعالى أنْ شَرَع للمصلّي تكرير هذه العبودية مرة بعد مرة إلى إتمام الأربع، كما شرع له تكرير الذكر مرة بعد مرة؛ لأنه أبلغ في حصول المقصود وأدعى إلى الاستكانة والخضوع»(١).

ولأنّ المرةَ الواحدةَ لا تُروي غليل القلب من ذكر الله تعالى، ولا تشفي علَّته ومرضَه، الذي تنوعّت أسبابُه وجهاتُه؛ فالشيطان لا يُفارقه، والدنيا مُحيطةٌ به، والنفس أمارة بالسوء، والأصحاب يَلْتَهي معهم، والأهل يَنشْغل بهم، فإن لم يلجأ إلى الصلاة مرةً بعد مرة، ولم يستعن بها عليهم، وإلا هلك وضلّ وصرَفَتِ الْمُلْهيات قلبه، وشتَّت ذهنه.

فَإِنَّ الصَّلاةَ نُورٌ، فهيَ تَصقُلُ القَلبَ كما تُصْقَلُ الْمِرْآةُ.

والصَّلاةُ غذاءُ الْقلبِ، كما أنَّ الأكلَ غذاءُ الْجَسدِ، فإذا كان الْجسدُ لا يَتغذَّى بالْيسيرِ مِن الأكلِ؛ فالقلْبُ لا يَتغذَّى بِالقليل من الصَّلاةِ، ولا بالعَجَلَةِ فيها؛ بل لا بُدَّ مِن صلاةٍ تامَّةٍ تُغَذِّي الْقلبَ، وتُمدُّه بالقوّة والنشاط(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها، ص١٥٠.

(٢) يُنظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢٢/ ٥٣٨.

جلسةُ التشهد وذكرُ بعض حِكَمِها، وشرحُ الذكر الواردِ فيها

إذا أكمل المصلي ركوع الصلاة وسجودها وقراءتها وتسبيحها: شُرع له أن يجلس في آخر صلاته جلسة المتخشع المتذلل المستكين، جاثيًا على ركبتيه، ويأتي في هذه الجلسة بأكمل التحيات وأفضلها، بدلًا عن تحية المخلوق للمخلوق إذا واجهه أو دخل عليه، فإن الناس يحيون ملوكهم وأكابرهم بأنواع التحيات.

فشرع الله لعباده أن يُحيُّوه بأفضلِ تحية، فقل وأنت جالس جلسة العبد الفقير المتضرع: «**التَّحِيَّاتُ للهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[(١)].

وإِذَا قلت: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ»: أَصَابَ دعاؤُك: «كُلَّ عَبْدٍ للهِ صَالِحٍ في السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[(٢)].

«فالتحية هي تحيةٌ مِن العبد للحيّ الذي لا يموت، وهو سبحانه أولى بتلك التحيات من كل ما سواه؛ فإنها تتضمن الحياة والبقاء

---

(١) رواه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢) من حديث ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

والدوام، ولا يستحق أحد هذه التحيات إلا الحي الباقي الذي لا يموت ولا يزول ملكه.

وكذلك قوله: «والصلوات» فإنه لا يستحق أحد الصلاة إلا الله ﷻ، والصلاة لغيره من أعظم الكفر والشرك.

وكذلك قوله: «والطيبات» هي صفة الموصوف المحذوف؛ أي: الطيبات من الكلمات والأفعال والصفات والأسماء لله وحده»[(١)].

ثم قل من أعماق قلبك: «السَّلامُ عَلَيْك أَيُّهَا النَّبيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ» ومن قوَّة استحضارك للرسول عليه الصَّلاةُ والسَّلام حين السَّلامِ عليه: تُسلم عليه كأنه ماثلٌ أمامك تخاطبه.

ثم سلم على نفسك وعلى من عندك وعلى المؤمنين كلهم، فقل: «السَّلامُ عَلَيْنَا»؛ أي: على جميع الأُمَّة المحمَّدية»، «وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ»، هذا تعميم بعد تخصيص؛ لأنَّ عباد الله الصالحين هم كُلُّ عبدٍ صالح في السماء والأرض، حيّ أو ميِّت من الآدميين والملائكة والجِنِّ.

ثم قل بيقين وصدق: «أشهد أن لا إله إلا الله»، أشهد أنه الإله الواحد الحقُّ المستحق للعبادة، وأنه لا رب سواه، ولا تُصرف العبادة لغيره، فلا أصرف الحب والتوكل والخوف والرجاء لغيره.

وقل كذلك: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، أشهد أنه رسول من عند الله، وأنّ الدين لا يصح إلا من طريقه، وأشهد أني محب له أكثر من حبي لنفسي، وأقدم هَدْيَه على هواي ورغبتي.

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها، ص٥٤.

وهناك صيغةٌ أخرى لأوّل التشهّد، وهي:

١ ـ «التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ للهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ... إلخ»[(١)].

٢ ـ «التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ للهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ... إلخ»[(٢)].

ثم قل في غير التشهد الأول: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(٣)].

وهناك صيغةٌ أخرى للصلاةِ على النَّبِيِّ ﷺ، وهي:

١ ـ «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْت عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْت عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(٤)].

٢ ـ «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(٥)].

وكن صادقًا في صلاتك وسلامك عليه، مُستحضرًا ما لاقاه في حياته من أجلك، فقد قاتل وهاجر وسافر إلى الطائف لأجل تبليغ رسالة ربّه، ولولا جهادُه وصبرُه لَمَا تنعّمت بنعمة الدين والإيمان.

---

(١) رواه مسلم (٤٠٣) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.
(٢) رواه مسلم (٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه.
(٣) رواه البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٥) من حديث كَعْب بْن عُجْرَةَ رضي الله عنه.
(٤) رواه البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧)، من حديث أَبي حميد الساعدي رضي الله عنه.
(٥) رواه مسلم (٤٠٥)، من حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه.

وكن مُستحضرًا كذلك شفاعته لك وللناس يوم القيامة، فكلّ الأنبياء يقولون: نفسي نفسي، إلا هو فإنه يقول: «**أمتي أمتي**»(١)، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

ثم عليك بالأدعيّة المأثورةِ عن النَّبيّ ﷺ، ومنها:

١ ـ وقل كذلك: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٢).

٢ ـ «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٣).

٣ ـ «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»، فقد ثبت عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أنه قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّكَ**»، قُلْتُ: وَأَنَا وَاللهِ أُحِبُّكَ، قَالَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاتِكَ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: قُلِ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).
وهذا الدعاء من آكد الأدعية، فقد كان ـ ﷺ ـ يُعَلِّمُهُم هذا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمِ السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ. [رواه مسلم: ٥٩٠].
وكان يأمرهم به فيقول: إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ.. وذكرها. [رواه البخاري، ص١٣٧٧، ومسلم، ص٥٨٨].

(٣) رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٤) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٩٠)، وصححه الألبانيّ في صحيح الأدب المفرد.

فإذا أعانك ربنا ﷻ على ذكره وشكره وَحُسْنِ عِبَادَتِه فقد حُزتَ أسباب التوفيق والفلاح كلّها.

٤ ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»(١).

٥ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ»(٢).

ثم تخيّر مِن الدعاء ما تُحب، واحْرص على الدعاءِ قبل سلامك، فهو أولى وأرجى في القبول؛ «وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَإِذَا سَلَّمَ: انْصَرَفَ عَن مُنَاجَاتِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ سُؤَالَ السَّائِلِ لِرَبِّهِ حَالَ مُنَاجَاتِهِ هُوَ الَّذِي يُنَاسِبُ، دُونَ سُؤَالِهِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ، كَمَا أَنَّ مَن كَانَ يُخَاطِبُ مَلِكًا أَو غَيْرَهُ فَإِنَّ سُؤَالَهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى مُخَاطَبَتِهِ أَوْلَى مِن سُؤَالِهِ لَهُ بَعْدَ انْصِرَافِهِ»(٣).

ونحن نرى كثيرًا من الناس يحرصون على الدعاء بين الأذان والإقامة بعد صلاة السُّنَّة؛ وذلك لأنّه ورد أنّ الدعاء بين الأذان والإقامة مظنّةُ إجابة الدعاء، ولكنْ إذا كان دعاؤهم في الصلاة: فقد اتخذوا سببين لإجابة الدعاء.

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه مسلم (٧٧١).

(٢) رواه البخاري (٢٣٩٧)، ومسلم (٥٨٩).
وقد قيل له: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ! فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢٢/ ٥١٣ ـ ٥١٤.

الذكرُ الواردُ بعد الصلاة، مع شرحِه

وبعد انتهائك من الصلاة: قل بصدق: أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله، واستشعر تقصيرك في صلاتِك، وعدم قيامك بكامل حقّها.

فاطلب من ربك أن يغفر لك ذلك، ولا تسرد الاستغفار سردًا لا روح معه.

ثم قل: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»[(١)].

و«تأمل هذه الألفاظ الكريمة كيف جمعت نوعي الثناء، أعني: ثناء التنزيه والتسبيح، وثناء الحمد والتمجيد، بأبلغِ لفظٍ وأوجزِه وأتمِّه معنى، فأخبر أنه السلام، ومنه السلام؛ فالسلام له وصفًا وملكًا، وأنَّ صفاتِ كمالِه ونعوتَ جلالِه وأفعالِه وأسمائه كلَّها سلام، وهو المتبارَك في ذاته الذي يبارِك فيمن شاء من خلقه وعليه، فيصير بذلك مباركًا: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾، ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾»[(٢)].

ثم قل: «لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ

(١) رواه مسلم (٥٩١).
(٢) بدائع الفوائد ٢/ ١٨٧.

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»(١).

ثم اشتغل بالأذكارِ المشروعة بعد ذلك، وأحضر لها قلبك، واجمع لها فكرك.

ثبت في «الصحيحين»(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فقَالُوا: يا رسول الله ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

أي: أنَّ الأغنياء والتجار فازوا في الجنة بالدرجات العُلى، والنعيمِ المقيمِ فيها.

فتعجَّب النبي ﷺ من ذلك وقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ**»؟

قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ.

لأنَّ عندهم من الأموال ما ليس عندنا، فلن نهنأ بعيشٍ واطْمئنان، ونحن نرى أحدًا يسبقنا إلى الجنان.

إنها همَّةُ الصحابة العظماء، والقادةِ الأجلاء، جعلتْ منهم رجالًا صنعوا المجد والعزّ، وفتحوا وطهَّروا الأرض، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وأخزى الله من تنقَّصهم وآذاهم.

وقارن - **أخي القارئ الكريم** - حالنا بحال الكثير من الناس، حيث يشتكي بعضُهم إلى بعضهم اسْتئثار الأغنياء بالأموال والمتاع والطعام، والصحابة رضي الله عنهم يشتكون إلى بعضهم اسْتئثار الأغنياء بالدرجات العلى في الجنان.

(١) رواه مسلم (٥٩٣)، (٥٩٤).

(٢) البخاري (٨٤٣)، ومسلم (١٣٧٥).

كثير من الناس يشتكون الأغنياء؛ لأنهم سبقوهم إلى بناء القصور والدُّور، والصحابة ﷺ يشتكونهم لأنهم سبقوهم بالدرجات والأجور، والفوزِ في دارِ السرورِ والحبورّ.

فَلَمَّا سمع النبيُّ ﷺ قولهم، وعرف شكواهم، طمْأنهم بكلامٍ جميل، ووعدهم بأجرٍ جزيل، لهم ولكلِّ مَن جاء بعدهم فقال: «**أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ ـ أَيْ: مِنْ أَهْلِ الْأَمْوَال، الَّذِينَ امْتَازُوا عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقَةِ والعطاء ـ.**

وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ ـ أي: تسبقون به أمثالكم، الذين لا يقولون هذه الأذكار ـ.

وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟.

فتعجَّب هؤلاء الفقراءُ ﷺ من هذا العمل العظيم فقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً**»[١].

الله أكبر، من قال هذا الذكر اليسير، يكون أجرُه كأجرِ المتصدق والمنفق؟ فما أوسع وأعظم فضل الله تعالى.

ولا عجب ـ أخي المسلم ـ فهذا الذكر من أفضل وأعظم الأعمال، فهو سببٌ لغفران ذنوبك! قال ﷺ: «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ**

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: لم يذكر في هذه الرواية تمام المائة، وذكره في الرواية الأخرى، وعيّن أنه التهليل.
وفي رواية كعب: أن زيادةَ تكبيرةٍ كمّلت المائة، وهذا يدل على عدم تعيّن ما تُكَمِّلَ به المائة، بل أي شيء قال من ذلك حصل له ذلك الثواب. المفهم ٢/ ٢١٤.

تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». رواه مسلم[(١)].

وقائلهنَّ لا يخيب أبدًا، قال ﷺ: «**مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً**». رواه مُسلم[(٢)].

وإذا كان هذا هو فضل هذا الذكر العظيم: فينبغي أن نَهْتم بمعاني هذه الألفاظِ ونستحضرَها، حتى يكون تأثيرُها علينا أقوى:

فالتسبيح معناه التنزيه، فإذا قلت: سبحان الله، فمعناه: أُنزه الله تعالى عن النقائص والعيوب.

وإذا قلت: الحمد لله، فاستحضرْ نِعم الله عليك في بدنك ودينك وأهلك، فاشكرْه واحمدْه عليها، معترفًا بأنه المنعمُ المتفضلُ عليك وعلى غيرك.

وإذا قلت: الله أكبر، فاستحضرْ عظمةَ الله وكبرياءَه، وأنه أكبر من كلِّ شيء، وأكبر من الدنيا ومتاعها، وأكبر من الملوك والوزراء والرؤساء.

وإذا قلت: لا إلٰه إلا الله، فاستحضر معناها ومدلولها، «فإنَّ الإلٰه هو المستحقّ لصفات الكمال، المنعوتُ بنعوت الجلال، وهو الذي تألَهُه القلوب، وتصمَدُ إليه بالحبّ والخوف والرجاء؛ فالتوحيد الذي جاءت به

---

(١) (٥٩٧).
وهذا الموضع الخامس من المواضع التي يغفر الله فيها ذنوب المصلي.
(٢) (١٣٧٧).

الرسل: هو إفرادُ الربّ بالتألُّه الذي هو كمال الذل والخضوع والانقياد له، مع كمال المحبة والإنَابة، وبذلِ الجهد في طاعته ومرضاته، وإيثارِ محابِّه ومراده الدينيّ على محبة العبد ومرادِه، فهذا أصلُ دعوة الرسل، وإليه دعوا الأمم، وهو التوحيد الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو الذي أمر به رسله، وأنزل به كتبه، ودعا إليه عباده، ووضع لهم دار الثواب والعقاب لأجله، وشرَع الشرائع لتكميله وتحصيلِه»(١).

فاستحضرْ هذه المعاني عندما تقولُها، فسيكونُ لها أثرٌ عليك في عقيدتك وأخلاقِك.

واعلم أنّ الْأَذْكَار الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهَا الْمُسْلِمِينَ بعد الصَّلَاةِ أَنْوَاعٌ منها:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ يُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُكَبِّرُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كما تقدم.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُكَبِّرُ وَأَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، كما تقدم.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ يُسَبِّحُ خمسًا وعشرينَ، وَيَحْمَدُ خمسًا وعشرينَ، وَيُكَبِّرُ خمسًا وعشرينَ، ويقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خمسًا وعشرينَ(٢).

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص١٣٩.
(٢) رواه النسائي (١٣٥٠)، والترمذي (٣٤١٣) وقال: «حديث صحيح»، وصححه الألباني

الحكمة من مشروعيّة الأذكار

اعلم أنّ تدبّر الأذكار وفهمها هو المقصودُ من مشروعيّتها، التي جعلها النبيُّ ﷺ قائمةً مقام الصدقة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وكلُّ قولٍ رَتَّبَ الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام؛ كقوله ﷺ: «**مَن قال في يوم سُبحَانَ الله وبِحَمْدِه مائة مرّة، حُطّت عنه خطاياه ولو كانت مثل زَبَد البحرِ**»، **وليس هذا مُرتَّبًا على مجرّد قول اللسان**»[1]. اهـ.

وواقعُ كثيرٍ مِمَّن يقول هذه الأذكار بعد الصلوات على خلاف ذلك، حيث يقولُونها بعجلةٍ وعدمِ تأمُّلٍ بمعانيها ومدلولاتِها؛ بل بعضُهم يقولها وهو يلتفتُ يمنةً ويسرة بغفلة، وبعضهم يقولُها وهو مشغولُ البال والفكر، وهذا سببٌ في عدم حصول الأجر الوافر للذاكر، وعدمِ تأثير الذكر عليه، فللذِّكرِ لذَّةٌ وحلاوةٌ وبركةٌ على الذاكر، الذي يذكر الله بقلبه قبل لسانه.

❁ ❁ ❁

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٣١.

أهميّة الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ، والحذرُ مِن الْمُحْدَثَةِ الْمُبْتَدَعَةِ

الْأَدْعِيَةُ وَالْأَذْكَارُ النَّبَوِيَّةُ لها أثرٌ عظيمٌ على المسلم، فهي مِن أعظم أسباب حفظِه من وساوس الشيطان وكيدِه، ومن أقوى الأسباب في دفعِ البلاء عنه.

فهي «أَفْضَلُ مَا يَتَحَرَّاهُ الْمُتَحَرِّي مِنَ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، وَسَالِكُهَا عَلَى سَبِيلِ أَمَانٍ وَسَلَامَةٍ، وَالْفَوَائِدُ وَالنَّتَائِجُ الَّتِي تَحْصُلُ لَا يُعَبِّرُ عَنْهُ لِسَانٌ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ إِنْسَانٌ».

وفيها: «غَايَةُ الْمَطَالِبِ الصَّحِيحَةِ، وَنِهَايَةُ الْمَقَاصِدِ الْعَلِيَّةِ»(١).

والأدعية التي جاءت في الكتاب والسُّنَّة تُغني عن غيرها، قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَا فِي كِتَابِ اللهِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ مِنِ الدُّعَاءِ وَيَدَعَ مَا سِوَاهُ، وَلَا يَقُولَ: أَخْتَارُ كَذَا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَدْعُونَ. اهـ(٢).

ويجب الحذر مِن الْأَذْكَارِ الْمُحْدَثَةِ الْمُبْتَدَعَةِ، فإنّ بعض الناس قد يُحافظ على ذكرٍ ليس في الكتاب والسُّنَّة، وربما فضّله على الأذكار الشرعيّة، «وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَسُنَّ لِلنَّاسِ نَوْعًا مِن الْأَذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ غَيْرِ

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ٢٢/ ٥١١.

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ٢٣١.

الْمَسْنُونِ، وَيَجْعَلَهَا عِبَادَةً رَاتِبَةً يُوَاظِبُ النَّاسُ عَلَيْهَا كَمَا يُوَاظِبُونَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ؛ بل هَذَا ابْتِدَاعُ دِينٍ لَمْ يَأْذَن اللهُ بِهِ، بِخِلَافِ مَا يَدْعُو بِهِ الْمَرْءُ أَحْيَانًا مِن غَيْرِ أَنْ يَجْعَلَهُ لِلنَّاسِ سُنَّةً»(١).

فينبغي أنْ يُمحِّصَ المسلم الأذكار والأدعية التي يقولها، فقد تكون مُخالفةً للشرع، وقد يكون غيرُها أفضل وأنفع منها.

وقد يقول قائل: فلانٌ الْتزَم دعاءً مُعيّنًا ليس في الكتاب والسُّنَّة، أو جعل له وقتًا أو عددًا مُعيّنًا، فأُجيبَ دعاؤه، وقُضيت حاجته؟

والجواب: أنه لا يلزم من ذلك أنْ يكون قضاءُ حاجته بسبب دعائه؛ بل ربما كان الله تعالى قد قدَّر له قضاء حاجته في وقتٍ معين، فصادف وقتَ دعائه.

ولو كان الله تعالى قد أجاب دعاءه: فذلك لأجل صِدْقه وإلحاحه، لا لِمَا ابتدعه من الأوصاف والعدد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في ردّه على المبتدعة من أصحاب التوسل بالأولياء: إِذَا قُضِيَتْ حَاجَةُ مُسْلِمٍ وَكَانَ قَد دَعَا دَعْوَةً عِنْدَ قَبْرِهِ: فَمِن أَيْنَ لَهُ أَنَّ لِذَلِكَ الْقَبْرِ تَأْثِيرًا فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ؟..

ثُمَّ تِلْكَ الْحَاجَةُ:

أ ـ إِمَّا أَنْ تَكُونَ قَد قُضِيَتْ بِغَيْرِ دُعَائِهِ.

ب ـ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ قُضِيَتْ بِدُعَائِهِ.

فَإِنْ كَانَ: الْأَوَّل فَلَا كَلَامَ.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ٢٢/ ٥١١.

وَإِن كَانَ الثَّانِيَ: فَيَكُونُ قَد اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ اجْتِهَادًا لَو اجتهده فِي غَيْرِ تِلْكَ الْبُقْعَةِ أَو عِنْدَ الصَّلِيبِ لَقُضِيَتْ حَاجَتُهُ؛ فَالسَّبَبُ هُوَ اجْتِهَادُهُ فِي الدُّعَاءِ لَا خُصُوصُ الْقَبْرِ.اهـ[١].

❁ ❁ ❁

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٧/ ١٧٦ ـ ١٧٧.

المبادرةُ إلى صلاة السنن الرواتب

بعد أنْ تنتهي مِن أذكارك بادر إلى صلاة السنن الرواتب، وهي: «أَرْبَعٌ قَبْلَ الظّهْرِ وَرَكْعَتَانِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلاَةِ الْفَجْرِ».

فقد روى مسلم في «صحيحه»[(١)] عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، عَنْ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»**.

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: «فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ».

وقَالَ عَمْرٌو: «مَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ».

وقَالَ النُّعْمَانُ مِثْلَ ذَلِكَ.

وقد شُرِعتِ السُّننُ الرَّواتبُ جَبْرًا لِمَا يَحصلُ مِن النَّقْصِ في الفرائضِ.

قال النَّبيّ ﷺ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ»، قَالَ: «يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ: انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ،**

---

(١) (٧٢٨).

قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ»(١).

ومن أوكد السنن التي لا ينبغي تركها حضرًا ولا سفرًا: الوتر، قال النَّبِيُّ ﷺ: **«أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»**(٢).

«وَالْوِتْرُ أَوْكَدُ مِن سُنَّةِ الظُّهْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَالْوِتْرُ أَفْضَلُ مِن جَمِيعِ تَطَوُّعَاتِ النَّهَارِ كَصَلَاةِ الضُّحَى؛ بل أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ: قِيَامُ اللَّيْلِ، وَأَوْكَدُ ذَلِكَ الْوِتْرُ وَرَكْعَتَا الْفَجْرِ»(٣).

وبقدر اهْتمامك بالنوافل ومواظبتك عليها يُحبك الرحمٰن ﷻ وتقدّست أسماؤه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ قَالَ: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»»**(٤).

وإذا حافظ المؤمن على النوافل وتعاهدها بإخلاص وصدق: كانت سببًا في عصمتِه من الوقوع في المعاصي والكبائر، وسببًا في سداد سمعِه وبصرِه ويدِه ورجلِه، فإنْ سَمِعَ سمع بالله، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به، وهذا تحقيق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

وإذا استقامت هذه الجوارح: استقام القلب وصلح.

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٤)، والترمذي وحسّنه (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) رواه مسلم (١١٦٣).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٢٣/٨٨.

(٤) رواه البخاري (٦٥٠٢).

وإذا رأيت من يعصي الله تعالى ـ ولو كان طالب علم ـ ولا يستطيع التخلّص من معصيةٍ: فاعلم أنه إنما أُتي مِن تقصيرِه في النوافل، إذ إنه لو أكثر من النوافل وحافظ عليها فسيتحقّق له وعدُ الله بالحفظ.

«فلَا يَبْقَى مُرِيدًا إلَّا مَا أَحَبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا كَارِهًا إلَّا لِمَا كَرِهَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»[(١)]، فيترقى إلى مرتبة الولاية ودرجة الصديقيّة، جعلنا الله منهم.

ومن أعظم ثمار مواظبتك على النوافل: زيادة نشاطك للعبادة ومحبّتها، قال الحافظ ابن حجر ﵀: مُلَازَمَةُ الِاقْتِصَار عَلَى الْفَرَائِض مَثَلًا، وَتَرْكُ التَّنَفُّل يُفْضِي إِلَى إِيثَار الْبَطَالَة، وَعَدَم النَّشَاط إِلَى الْعِبَادَة. اهـ[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ ٨/ ٣٣٨.
(٢) فتح الباري ٨/ ١٣٤.

لذةُ مُناجاة الله تعالى في قيامِ الليل

إذا قمت ـ أخي المصلي الموفَّق ـ قبل صلاة الفجر، وصليّت كما مرّ سابقًا، وتلوت كتاب الله تعالى بتدبّر، وخشعتَ في صلاتك، واستحضرت معاني الصلاة وما اشْتملت عليه من الأذكار والدعاء: فأنت ـ والله ـ في نعيمٍ ليس له نظيرٌ في الدنيا، وفي جنةٍ من الأنس واللذة والسعادة والراحة، ليست من جنس لذائذ الدنيا ولو جُمعت كلّ لذائذها، فتلك من جنس لذائذِ وسعادةِ جنة الآخرة، نسأل الله تعالى ألا يحرمنا منها.

ففي قيامِ الليل لذةٌ وأُنسٌ، وراحةٌ نفسية، وطمأنينةٌ قلبية، وسعادةٌ وسكونٌ لا يعلم مداه إلا الله تعالى وحده، قال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: والله ما رجل خَلَى بأهله عروسًا، أقرَّ ما كانتْ نفسُه وآنسَ ما كان، بأشدَّ سرورًا منهم بمناجاته إذا خلوا به.

وكان ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ يقوم الليل ويقول: ما شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل.

وقد أجمع العارِفون والعابدون أنّ أمتع وآنس أوقات الصلاة والمناجاة آخرُ الليل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾.

ونَاشِئَةُ اللَّيْلِ «عند أكثر العلماء هو إذا قام الرجل بعد نوم، ليس هو أول الليل، وهذا هو الصواب؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هكذا كان يصلي،

والأحاديث بذلك متواترة عنه، كان يقوم بعد النوم لم يكن يقوم بين العشاءين»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: النَّاسُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَكُونُ فِي قُلُوبِهِم مِن التَّوَجُّهِ وَالتَّقَرُّبِ وَالرِّقَّةِ مَا لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَهَذَا مُنَاسِبٌ لِنُزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَقَوْلِهِ: «هَل مِن دَاعٍ؟ هَل مِن سَائِلٍ؟ هَل مِن تَائِبٍ؟». اهـ[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ١٧/ ٤٧٤.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٥/ ٢٤١.
يُنظر: الْمَسَائِلُ الْمُهِمَّةُ فِي التَّجْوِيدِ والْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ للمؤلف، ص١٨٦ ـ ٢٠٠.

سؤال الله تعالى القبول

بعد انتهائك من صلاتك وأذكارك: أكثر من سؤال الله تعالى القبول، بأن يتقبل صلاتك، واسأله سؤال معترف بتقصيره ونقصه، لا سؤال مُعجب بعمله، فإنّ بعض الناس حينما يعملون عملًا اجتهدوا فيه يسألون الله القبول، وهم يشعرون في باطنهم بأنهم قد عملوا عملًا كبيرًا، فيسألون القبول، والأولى: أنْ يُبعدوا عنهم هذا الشعور؛ لأنه نوعُ إعجاب بالعمل، وإقرار بكماله وخلوصه عن النقائص؛ بل ليكن سؤالك سؤال مقرّ بنقص عمله، طالبًا من الله قبوله على ما فيه من النقص والخلل، فحريٌّ بمن كانت هذه نيّتُه أن يقبل الله تعالى القليل من عمله، ويُجازيه على القليل كثيرًا.

وتأمّل حال إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فقد ذكر الله تعالى عنهما أنهما كان يقولان وهما يرفعان قواعدَ الْبَيْت: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، فَهُمَا فِي عَمَلٍ صَالِحٍ، وَمع ذلك يَسْأَلانِ اللهَ تعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمَا.

قَرَأَ بعض السَّلف هذه الآية وهو يَبْكِي وَيَقُولُ: يَا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، تَرْفَعُ قَوَائِمَ بَيْتِ الرَّحْمَنِ وَأَنْتَ مُشْفق أَنْ لَا يَتَقَبَّلَ مِنْكَ!

وقد حَكَى اللهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ «أَيْ: يُعْطُونَ مَا أَعْطَوْا مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالنَّفَقَاتِ وَالْقُرُبَاتِ ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٦٠]؛ أَيْ: خَائِفَةٌ أَلَّا يُتَقبَّلَ مِنْهُمْ»[١].

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٢٧.

فقد ثبت عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ»[١].

«والسر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم، ليس هو خشيتهم أن لا يوفيهم الله أجورهم، فإن هذا خلاف وعد الله إياهم في مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾؛ بل إنه ليزيدهم عليها كما قال: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾، والله تعالى: (لا يخلف وعده) كما قال في كتابه، وإنما السر أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله عز وجل، وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله؛ بل يظنون أنهم قصروا في ذلك، ولهذا فهم يخافون أن لا تقبل منهم. فليتأمل المؤمن هذا عسى أن يزداد حرصًا على إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله، وذلك بالإخلاص فيها له، واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم في هديه فيها»[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ «أَيْ: مَنِ اتَّقَاهُ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ؛ بِأَنْ يَكُونَ عَمَلًا صَالِحًا خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِلسُّنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِك خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وصححه ابن كثير في تفسيره ١/ ٤٢٧، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٢).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/ ٣٠٦.
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١١/ ٦٦٢.

التنبيه على بعض الْمُخالفات التي يرتكبُها بعضُ الْمُصلين، المنافية للأدب مع الله

١ ـ جهرُ بعض المأمومين في القراءة السرية، ورفعُ أصواتهم بالتكبير والأذكار والدعاء.

وقلَّ أن تصليَ بجوار أحدٍ إلا سمعتَ قراءته للفاتحة، وسمعتَ تحميده بعد الركوع، وسمعتَ تسبيحه في سجوده، وسمعتَ دعاءه بين السجدتين، كأن الصلاةَ أصبحت جهرية، هذا من بدع الصلاة، أن تكون الأذكارُ سريةً فيجهر بها.

وفعلُه هذا سَيُشَوِّشُ به على مَن بجواره، فلا يكاد مَن يُصلي بجواره أنْ يخشعَ في صلاته؛ بل ربَّما لا يتمكن من قراءةِ ما يجب عليه في صلاته.

وهكذا في تكبيرة الإحرام، وتكبيرات الانتقال، إذا كبَّر الإمام تكبيرة الإحرام، رفع بعضُ الناس صوته بالتكبير، وإذا رفع من الركوع، قال بصوتٍ يسمعه مَن بجواره: ربنا ولك الحمد.

وقد ثبت النهي عن رفع الصوت في المساجد، لا بقراءة القرآن ولا بغيره، ففي «مسندِ الإمام أحمد»[(١)] بإسنادٍ صحيح، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ، فنهاهم عن ذلك وقَالَ: «**لَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ**».

(١) (١٩٠٢٢).

وفي إخْفاءِ الدُّعاءِ والذِّكر ـ خاصّة في الصلاة ـ فوائِدُ عديدَةٌ:

«**أَحَدُهَا**: أَنَّهُ أَعْظَمُ إيمانًا؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ الدُّعاءَ الْخَفِيَّ.

وثَانِيهَا: أَنَّهُ أَعْظَمُ فِي الْأَدَبِ وَالتَّعْظِيمِ؛ لِأَنَّ الْمُلُوكَ لَا تُرْفَعُ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُمْ، وَمَن رَفَعَ صَوْتَهُ لَدَيْهِمْ مَقَتُوهُ، وَللهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، فَإذَا كَانَ يَسْمَعُ الدُّعَاءَ الْخَفِيَّ فَلَا يَلِيقُ بِالْأَدَبِ بَيْنَ يَدَيْهِ إلَّا خَفْضُ الصَّوْتِ بِهِ.

وثَالِثُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي التَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ الَّذِي هُوَ رُوحُ الدُّعَاءِ وَلُبُّهُ وَمَقْصُودُهُ، فَإِنَّ الْخَاشِعَ الذَّلِيلَ إِنَّمَا يَسْأَلُ مَسْأَلَةَ مِسْكِينٍ ذَلِيلٍ قَد انْكَسَرَ قَلْبُهُ، وَذَلَّتْ جَوارِحُهُ، وَخَشَعَ صَوْتُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَكَادُ تَبْلُغُ ذِلَّتُهُ وَسَكِينَتُهُ وَضَرَاعَتُهُ إِلَى أَنْ يَنْكَسِرَ لِسَانُهُ، فَلَا يُطَاوِعُهُ بِالنُّطْقِ، وَقَلْبُهُ يَسْأَلُ طَالِبًا مُبْتَهِلًا، وَلِسَانُهُ لِشِدَّةِ ذِلَّتِهِ سَاكِتًا، وَهَذِهِ الْحَالُ لَا تَأْتِي مَعَ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالدُّعَاءِ أَصْلًا.

ورَابِعُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي الْإِخْلَاصِ.

وخَامِسُهَا: أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي جَمْعِيَّةِ الْقَلْبِ عَلَى الذِّلَّةِ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ يُفَرِّقُهُ، فَكُلَّمَا خَفَضَ صَوْتَهُ كَانَ أَبْلَغَ فِي تَجْرِيدِ هِمَّتِهِ وَقَصْدِهِ لِلْمَدْعُوِّ سُبْحَانَهُ.

وسَادِسُهَا ـ وَهُوَ مِن النُّكَتِ الْبَدِيعَةِ جِدًّا ـ: أَنَّهُ دَالٌّ عَلَى قُرْبِ صَاحِبِهِ مِن الله، وأنه لاقترابه منه وشدَّةِ حضوره يسأله مَسْأَلَةَ أقرب شَيْءٍ إليه، فيسألُه مَسْألة مُنَاجاةِ الْقَرِيبِ لِلْقَرِيبِ، لَا مَسْأَلَةَ نِدَاءِ الْبَعِيدِ لِلْبَعِيدِ؛ وَلِهَذَا أَثْنَى اللهُ عَلَى عَبْدِهِ زَكَرِيَّا بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾.

فَلَمَّا اسْتَحْضَرَ الْقَلْبُ قُرْبَ اللهِ ﷻ، وَأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِن كُلِّ قَرِيبٍ أَخْفَى دُعَاءَهُ مَا أَمْكَنَهُ»(١).

٢ ـ وقوفُ بعض المأمومين عند قُرب الإقامة، والالتفات يمنةً ويسرة، وهم بهذا يُوقعون المؤذن في الحرج من كثرة نظراتهم له.

وما الذي سيخسرونه لو بادروا إلى تحية المسجد؟ ولِمَاذا يحرمون أنفُسَهم أجرَ هذه السُّنَّةِ الْمُؤَكَّدَة، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم، يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ فيصلون إليها، لا يَنْظُرُون هل جاء الإمامُ أم لا، هل قَرُب موعدُ الإقامة أم لا، وذلك لِمَا يَعْلَمُونَه مِن فضل هذه الصلاةِ ومكانتِها.

فإذا أُقيمت الصلاة قطعوها ولا حرج، ولهم أجر الصلاة التي صلَّوها.

٣ ـ إصدار الأصوات الْمُزعجة والْمُؤذية؛ كالجشاء والتثاؤبِ بصوتٍ مرتفع، فإنَّ ذلك ممَّا يُستقبح ويُكره شرعًا وعُرفًا وعقلًا.

وقد جاء في «صحيح البخاريِّ»(٢) عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: **«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: آهْ، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»**.

يعني: عندما يبدأ بالتثاؤب، ويأخذُ الهواء بفمه، فإنه يَصدر منه هذا الصوت الذي يكرهه الله تعالى؛ لأنه يبعث على الكسل، ويُضايقُ الناسَ بهذا الصوت.

وَفِي لَفْظ لـ«مسلم»(٣): «إِذَا تَثَاءَبَ أَحدكُمْ فِي الصَّلَاة فَلْيَكْظِمْ مَا اِسْتَطَاعَ، فَإِنَّ الشَّيْطَان يَدْخُل». هَكَذَا قَيَّدَهُ بِحَالَةِ الصَّلَاة..

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١٥/ ١٠ ـ ٢٧، بدائع الفوائد لابن القيم ٣/ ٨٤٤.
(٢) (٦٢٢٣).
(٣) (٢٩٩٥).

قَال العلماء: يَنْبَغي كَظْم التَّثاؤُب في كُلّ حالَة، وَإِنَّما خَصَّ الصَّلَاة؛ لِأَنَّها أَولى الْأَحْوال بِدَفْعِ التثاؤب؛ لِمَا في ذلك من إيذاء المصلين، بسماع صوت الْمُتَثَائِبِ الْمُؤْذي؛ فالناس خلف إمامهم، يُسمعهم كلام الله تعالى بخشوعٍ وخضوعٍ، فيُعكر هذا الجوَّ الإيمانيَّ صوتُ هذا الْمُتَثَائِبِ، وهذا يدلّ على غفلته وعدمِ اسْتحضاره لعظمةِ مَن يقف بين يديه، ويدلُّ على كسله وخموله، وعدم كمال خشوعه في صلاته، ويدلُّ أيضًا على قلَّة مبالاته بالآخرين وبمشاعرهم.

٤ ـ إيذاءُ المصلين بالروائح الكريهة المؤذية، ومنها:

أ ـ روائح الأطعمة الكريهة الرائحة.

وقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ**» رواه مسلم[1].

ويستفاد من هذا الحديث وغيره: أنَّ البصل والثوم والكراث لا يحرم أكلها، لكن المحرم أنْ يدخل المسجد وبه أثر الرائحة منها.

وإذا استعمل الإنسان شيئًا يُذْهِبُ الرائحة جاز له أنْ يدخل المسجد.

قال العلماء: من احتاج إلى أكل الثوم والبصل ونحوهِما، أو اشتهى أكلَها: فلْيأكلها ولا حرج عليه، فإذا حضرتِ الصلاةُ والرائحةُ لا زالتْ موجودةً فلا يحضرْ صلاةَ الجماعة ولا إثم عليه؛ بل يُصلي لوحده في بيته، ويفوته أجر الجماعة وفضلُها.

ومَنْ أرادَ أنْ يأكلَ شيئًا من ذلك، فلْيُمتْها طبخًا لِتَخفَّ رائحتُها، ثم يُطيِّبْ فمه وثيابه، حتَّى لا يُؤذي عبادَ الله وملائكتَه.

---

(١) (٥٦٢).

وإذا كان لا يجوز لمن أكلَ البصلَ والثومَ والكراث، وغيرَها مِنَ الأطعمةِ التي تشابهها برائحتِها الكريهة: أنْ يحضر للصلاة مع الجماعة، مع أنها في الأصل مباحة: فمن باب أولى: لا يجوز لمن به رائحةُ الدخان أنْ يشهد الجماعة، مع أنه في الأصل حرام وخبيث.

فالواجب على المدخن أن يُقلع عن الدخان؛ لِمَا فيه من الأضرار عليه وعلى غيرِه.

ب ـ الروائح التي تنبعث مِن القدم من جورب وشراب إذا طال لبسها.

ج ـ رائحةُ العرق المؤذي، فبعض الناس يمكث أيامًا لم تمسَّ بشَرَتُه الماء، فيؤذي المصلين والملائكةَ أذىً شديدًا.

د ـ الروائح التي تخرج من الفم جراء خلوّ المعدة من الطعام، وعدم نظافة الأسنان.

وهذا يحدث كثيرًا في صلاة الفجر، وإنك لا تكاد تُطيق الصلاة بجانب بعض المصلين من روائح أفواههم.

ولو أكل المسلم تمرةً أو غيرها واستاك قبل صلاتِه: لزالت الرائحة، وطبق السُّنَّة، وكان أكمل في الأدب مع الله تعالى.

وهذا يشمل من يصلي في البيت؛ كالنساء، فلا يليق بهنّ أنْ يُناجين الله تعالى ورائحة أفواههنّ كريهة، فهذا والله ليس من الأدب مع الله تعالى.

٥ ـ كثرة الحركة والالتفات في الصلاة، حتى إنَّ بعض الناس مِن كثرة حركته يُضايق من بجانِبِه، فتراه يرمي بغترتِه للخلف، ثم يحك جلده، ثم يعرك عينه، ثم يضع يده على فمه يُصارع التثاؤب الذي قد يتكرر مراتٍ في صلاة واحدة.

وهذا لا ينبغي لمن يُعظِّمُ الله حقَّ تعظيمِه.

فالواجب على المصلي أنْ يقفَ في الصلاة أعظمَ من وقوف العبد بين يدي سيده، بذلةٍ وأدبٍ وسكون، ويرمي ببصرِه إلى الأرض.

ولو وقف هذا الذي يُكثر الحركة أمام مسؤول يُخاطبه، لَمَا أكثر الحركة عنده، ولَمَا زاغت عيناه عنه.

❁ ❁ ❁

الخاتمة

وبعد هذا، ألا يحقّ لنا أن نتساءَل عن مدى تأثير هذه الجامعة الإيمانية، والطاقة الروحانيّة علينا؟ ونحن نستمدُّ منها القوّة والإيمان في اليوم خمس مرّاتٍ على أقلّ تقدير.

هل زادت من إيماننا؟

هل غيّرت أخلاقنا إلى الأحسن؟

هل انشرحت صدورنا بعد كلّ صلاة؟

هل نهتنا عن الفحشاء من الأقوال والأفعال؟

هل أعطتنا حصانةً ضدّ المعاصي وسفاسف الأمور؟

وإذا كانت هذه أهمية الصلاة ومكانتها: فكم أعطيناها من الوقت لنتعلم أحكامها، ونَلْتَمِسَ أسبابَ إقامتها، ونبحثَ عن الصوارف التي صرفَتْنا عن الخشوع فيها؟

متى ذهبنا إلى المكتبة لأجل شراء كتاب يتحدّث فيه عن الصلاة وأحكامِها والخشوع فيها؟

متى ذهبنا إلى أحد الْعُبّاد أو العلماء العاملين لأجل أنْ نسأله عن هذا الموضوع المهم العظيم؟

هل بذلنا شيئًا ـ ولو قليلًا ـ من أموالنا الكثيرة لأجلها، كأنْ نشتري طيبًا نتطيَّب لها، أو سواكًا نستاك به عند إقامتِها؟

هذه الصلاة التي هي أعظم شيء في حياتنا بعد شهادة التوحيد لم يبذل لها كثيرٌ من الناس ما يُعين على صلاحها وإقامتها!!

فهل منْ فعل ذلك يكون مُعظّمًا لها، ومُحبًّا لها، ومُريدًا لإقامتها، وصادقًا في حبّه لربّه الذي عظَّم شأنها؟ حيث ذكرها في كتابه في أكثر من ستّين مرّة، وهذا يدل دلالةً واضحةً جليّةً على عظم شأنها عند ربنا ﷻ.

وهي وصيّة نبيّه وخليله عند موته ﷺ.

وهل هناك حرمانٌ أعظم حرمانًا ممن تيسَّرت له أسباب محو وغفران ذنوبِه كلّها، صغيرها وكبيرها، قديمِها وحديثِها، في اليوم عشرين مرة أو أكثر؟

ففي كلّ صلاةٍ تقول بعد الأذان: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا: غُفِرَ لَك ذَنْبُك[(١)].

فإن فاتتك فرصة مغرفة ذنوبك في الأذان، فلا تفتك فرصة مغرفة ذنوبك في الوضوء، فإذا تَوَضَّأت فَأَحْسَنت الْوُضُوءَ «غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً»[(٢)]، و«خَرَجَتْ خَطَايَاك مِنْ جَسَدِك»[(٣)]، «حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»[(٤)].

فإن فاتتك فرصة مغرفة ذنوبك في الوضوء، فلا تفتك فرصة مغرفة ذنوبك بعد الوضوء، فبعد أن تتوضأ وضوءًا صحيحًا سابغًا، ثم تصلي لله فَتحمده وَتُثْني عَلَيْهِ، وَتُمَجّدهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَتُفرّغ قَلْبَك للهِ، فإنك

---

(١) رواه مسلم (٣٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٢٩).

(٣) رواه مسلم (٢٤٥).

(٤) رواه مسلم (٢٤٤).

تنْصَرف مِنْ خَطِيئَتِك كَهَيْئَتِك يَوْمَ وَلَدَتْك أُمُّك[(١)].

فإن فاتتك فرصة مغرفة ذنوبك بعد الوضوء، فلا تفتك فرصة مغرفة ذنوبك بعد الصلاة، إذا انتهيتَ من صلاتك وسَبَّحت اللهَ وَحمِدَته وَكَبَّرته ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، ثم قلت تَمامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاك وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». رواه مسلم[(٢)].

فهذا عشرون موضعًا وعَدَك نبيُّك الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى أنْ تُمحى وتُغفر ذنوبك.

وهناك موضع آخر كذلك، وهو إذا وَافَقَ تَأْمِينُك تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَك مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك[(٣)].

وهنا تتجلى إرادة الله تعالى بأنْ يغفر ذنوب عبادِه، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾.

فهو سبحانه يريد أنْ يغفر ويرحم، وعرض أسباب الرحمة والمغفرة في اليوم مرات عديدة، فما أرحم الله وأكرمه وألْطفه.

ويا خسارة مَن ورد يوم القيامة مُثقلًا بالذنوب والأوزار، وقد هُيِّئت له أسبابُ غفرانها في اليوم أكثر من عشرين مرة.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من الخاشعين في صلاتهم، والموقنين بلقاء ربهم، إنه على كلّ شيءٍ قدير.

وصلى الله وسلم على رسولِه وعلى آلِه وأصحابه أجمعين.

فرغتُ منه عصر يوم الثلاثاء: ١٤٣٨/١٢/٢١

---

(١) رواه مسلم (٨٣٢).

(٢) رواه مسلم (٥٩٧).

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٢)، ومسلم (٤١٠).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
مبدأ التَّجديد	٩
طعمُ الصلاة ولذّتُها	١٤
قصةٌ يرويها رجلٌ ذاق طعم الخشوع، وكيف تغيّر حاله بعد ذلك	١٧
الطمأنيةُ في الصلاة وعدمُ العجلة فيها	١٩
حال السلف الصالح مع الصلاة	٢٦
الحذرُ من شرود الذهن في الصلاة	٢٩
حكم الخشوع في الصلاة	٣٣
إقامةُ الصلاة هي مبدأُ وكمالُ صلاحِ المؤمن	٤٠
مراتب الناس في خشوعهم وحضور قلوبهم في صلاتهم	٤٣
مقصودُ الصلاة الأعظم	٤٥
الأسباب المؤدّية إلى الخشوع في الصلاة	٤٨
السبب الأول: أن يستحضر عظمتها وقدرها وشرفها عند الله	٤٨
السبب الثاني: أنْ يُوقن المصلي بأنه لا غنى له عنها	٥٧
السبب الثالث: أنْ يتجمل لله تعالى فيها	٦٢
السبب الرابع: أن يتّصف المسلم بالذل والسَّكينة لله تعالى	٦٩
السبب الخامس: أصْلِحْ قلبَك: تصْلُح لك صلاتُك	٧١
السبب السادس: الِاجْتِهَادُ فِي دَفْعِ مَا يُشْغِلُ الْقَلْبَ	٧٤

الموضوع | الصفحة

السبب السابع: التبكير إليها ٧٦
السبب الثامن: الإتيانُ بأنواع الأذكارِ والأدعية الواردة في الصلاة ٧٨
السبب التاسع: سؤال الله تعالى إقامةَ الصلاةِ والخشوعَ فيها ٨١
السبب العاشر: أنْ يتفكر في كلّ ذكر وآية وركن من أركان الصلاة ٨٢
إجابة المؤذن، والإتيان بالسنن القوليّة بعد الأذان ٨٤
فضلُ الوضوء والعنايةُ به ٩٠
مسائل مهمة في الوضوء والطهارة والتخلّص من الوسواس» ٩٦
التبكير إلى الصلاة ١٠٦
أهميّة الانشغال بالذكر والاستعداد للصلاة في طريقك للمسجد ١٠٩
التقدّمُ إلى الصفّ الأَوَّل ١١١
المصلّون خلف إمامهم كوفودِ الناس على ملوكهم ١١٢
تكبيرة الإحرام وما فيها من اللطائف ١١٥
دعاء الاستفتاح وما فيه من المعاني اللطيفة ١١٨
الاسْتعاذةُ ومعناها ١٢١
قراءةُ سورةِ الفاتحةِ وسائرِ القرآن عَلَى مُكْثٍ وَتَمَهُّلٍ ١٢٤
من فضائل سورة الفاتحة ١٢٨
الشرح الْمُجمَلُ لسورة الفاتحة ١٣١
الشرح الْمُفصّل لسورة الفاتحة ١٣٥
الحكمة في وجوب قراءةِ سورةِ الفاتحة في كلّ صلاة وفي كلّ ركعةٍ ١٤٣
مشروعيّة الإنصات في الصلاة الجهريّة ١٤٧
الركوعُ وما فيه من المعاني اللطيفة ١٥١

الموضوع	الصفحة

يَتَعَيَّنُ في ذكرِ الركوع والسجود التَّسْبِيحُ، دون الْتزامِ صيغةٍ مُعيّنة، ولا يُستحبُّ الْجَمْعُ بَيْنَ صِيغَتَيْ تَسْبِيحٍ ١٥٣

الرفع من الركوعِ وشرحُ الذكر الوارد فيه ١٥٥

السّجودُ وما فيه من المعاني اللطيفة ١٥٩

الجلوسُ بين السّجودِ وما فيه من المعاني اللطيفة ١٦٤

تكريرُ أركان الصلاةِ مرة بعد مرة ١٦٧

جلسةُ التشهد وذكرُ بعض حِكَمِها، وشرح الذكر الواردِ فيها ١٦٨

الذكرُ الواردُ بعد الصلاة، مع شرحِه ١٧٣

الحكمة من مشروعيّة الأذكار ١٧٨

أهميّة الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ النَّبوِيَّةِ، والحذرُ مِن الْمُحْدَثَةِ الْمُبْتَدَعَةِ ١٧٩

المبادرةُ إلى صلاة السنن الرواتب ١٨٢

لذةُ مُناجاة الله تعالى في قيامِ الليل ١٨٥

سؤال الله تعالى القبول ١٨٧

التنبيه على بعض الْمُخالفات التي يرتكبُها بعضُ الْمُصلين، المنافية للأدب مع الله ١٨٩

الخاتمة ١٩٥

الفهرس ١٩٨